العدد الثانى عشر من السنة الرابعة ذى الحجة سنة ١٣٦٢ — ديسمبر سنة ١٩٤٣

مجلة
الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة
طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق
١٩٤٣

فهرس العدد

		صفحة
مشاكل مصر الاجتماعية	فؤاد سراج الدين باشا	٣
النشاط الاجتماعى للدولة		١١
نهضة مصر الصناعية	الدكتور حافظ عفيفى باشا	١٥
النهر المتعطل		١٩
وظيفة الفن والصحافة	الأستاذ سيد قطب	٢٤
علاج الفراغ عند المراهقين	الأستاذ صلاح الدين الشريف	٢٩
جرائم الآباء	الكاتبة زينب محمد حسين	٣٣
الحياة عادة		٣٨
الانتفاع بالعقل	الأستاذ صلاح الدين الأيوبى	٤٤
ملاحظات عابرة		٤٨
بين ملائكة الرحمة	الأستاذ محمد عبد الكريم	٥١
الهجرة من جنوب الدلتا إلى شمالها	« عريان يوسف سعد	٥٨
أثر الفرد فى الحياة الاجتماعية	« ابراهيم الفطريفى	٦١
مكتب البحوث الفنية ببروكسل	« رشاد محمد مجبوب	٦٤
الزوجة الصالحة	الأستاذ عيسى منولى	٦٨
يتيمة (قصة اجتماعية)	بقلم سميرم	٧١

مشاكل مصر الاجتماعية ووسائل علاجها

لحضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا

وزير الشؤون الاجتماعية

" بهذه المحاضرة القيمة افتتح حضرة صاحب المعالى فؤاد سراج الدين باشا الموسم الأول للمحاضرات العامة بقاعة يورت الذكارية بالجامعة الأمريكية فى الثانى عشر من الشهر الماضى ، فكانت خير فاتحة للموسم الثقافى هذا العام " ع

أيها السادة :

تحياتى الى هذه الدار ، والى القائمين عليها من رسل العلم والحضارة ، وحاملى وحى العالم الجديد الى العالم القديم ، أولئك الذين هبطوا مصر ضيوفا عليها أول الأمر ، فاذا مصر ضيف على علمهم وثقافتهم ، وستظل ترشف من معينهم ، وتضم الى مجد ماضيها مجد حاضرهم ، ويتهيأ لها من ذلك الماضى وهذا الحاضر مستقبل مشرق منير باذن الله .

هذه الجامعة لم تقصر علمها على طلابها ولم تحبس فضلها بين جدرانها ، بل جعلت منذ عشرين عاما أو تزيد ، ترسل أضواءها فى آفاق مصر ، بل فى آفاق الشرق كله ، بما يلقى فيها من محاضرات خاصة وعامة ، تتسابق فيها العقول والألسنة ، وبما تقيم من رحلات ، وبما تعرض من أفلام سينمائية وبغير ذلك من وسائل التثقيف والتهذيب .

ورأت هذه الجامعة أنها تقوم فى مجتمع مصرى ، فرتبت على نفسها حقوقا لهذا المجتمع ، وجدت فى خدمته ، اذ هيأت للباحثين الاجتماعيين فرص البحث فى علله وفى وسائل علاجها .

سادتى :

من المعلوم أن أكثر شرور الحرب تجىء فى أعقابها وأن من خواص الحروب أنها تزعزع قواعد العرف والتقاليد ، ومعنى هذا أننا مقبلون على تغيير شامل فى جميع أوضاع الحياة وأساليبها ، ولاشك أن العالم بعد أن يضمد ما تركت هذه الحرب فى جسمه من جراح ، سيشهد أكبر انقلاب اجتماعى واقتصادى وسياسى حدث فى تاريخه كله ، فمن الواجب علينا — حكومة وشعبا — أن نعد لهذا الانقلاب عدته ، حتى لا تفاجئنا الحوادث دون أهبة ولا استعداد .

وانى لمستبشر غاية الاستبشار ، اذ أرى عيونا كثيرة قد انتبهت ، وعقولا كثيرة قد أخذت تفكر فيما تواجه به الغد القريب .

وأمامنا أيها السادة مهام وتبعات جسام ، منها ما هو مصرى بحت ، ومنها ما هو شرقى ، ومنها ما هو عالمى ، وعلينا أن نستعد لها جميعا بحزم وعزم وقوة وثبات ، بل إنى لا أغالى اذا قلت ان هذه المهام والتبعات تقتضى منا أن نهيئ قوى الشعب جميعه .

إلا أننا لا نستطيع أن نتم هذه التهيئة على وجه صحيح ، ما لم نداو علتنا الاجتماعية ، لأن النهوض بالأمم اقتصاديا وسياسيا لا يتم حتى يكون أساسها الاجتماعى قويا وسليما ، فمثل من يبنى نهضة اقتصادية أوسياسية دون التفات إلى الناحية الاجتماعية كمثل من يقيم بيته على الرمال

أما تبعاتنا الشرقية والعالمية ، فلا تقل شأنا عن تبعاتنا المصرية ، فمصر باعتبارها عاصمة الشرق الأوسط ، قد نالت بفضل حكومتها الساهرة على خيرها مركزا ممتازا بين أمم الشرق بوجه عام ، وأمم العروبة بوجه خاص ، فعلى مصر أن تثبت لجيرانها أنها أهل لهذا المركز الممتاز ، وأن تذكر دائما أن صراع الميدان الدامى سيعقبه صراع آخر عنيف شديد ولو أنه هادئ صامت ، السلاح فيه هو العلم لا المدفع وثمرات النصر فيه ، هى الطمأنينة والعزة ، وما دام البقاء فى هذه الدنيا للأصلح ، فنحن نريد أن تكون لنا الصلاحية والبقاء .

والسبيل إلى هذه الغاية هى تلافى كل ما فى حياتنا الاجتماعية ومداواة كل ما يشكوه جسم الوطن من علل ، وهذا هو موضوع بحثنا اليوم .

سادتى :

عندى أن العوز هو العلة الكبرى ، وهو التعبير الذى تتلخص فيه علتنا جميعا ، فالفقر والحاجة هما العوز إلى المال ، والأمية والجهل هما العوز إلى العلم ، وسقم الأجسام وضعفها هما العوز إلى الصحة ، وكل ما فى دنيانا من نكبات إنما هو فروع من هذا العوز الثلاثى الأركان ، يدخل فى ذلك ، التشرد ، والإجرام ، وانحلال الحياة العائلية ، وانتشار العطلة أو كثرتها فى صفوف الشباب والعمال وكل ما يشكو منه الشاكون و يألم لوجوده المصلحون العاملون . فاننا إذا رجعنا للإحصاءات وجدنا اثنى عشر مليونا من المصريين على الأقل لا يصلون إلى حد الكفاية فى المعيشة ، من ناحية مستوى الطعام أو اللباس أو السكنى ، ومن ناحية المستوى الصحى ، ومن ناحية المستوى الثقافى أيضا .

وهذا العوز سواء كان ماليا أو صحيا أو ثقافيا يعوق سير المجتمع المصرى إلى الأمام ، ويمنع التهيئة الكاملة التى يجب أن نهيئها من اليوم استعدادا للأحداث المقبلة .

يجب إذن أن يتجه الإصلاح الاجتماعى إلى تحقيق الكفاية لكل فرد ، و إلى مقاومة هذا العوز فى شتى نواحيه .

يجب أن ينال كل فرد حقه من الغذاء واللباس والمسكن والرعاية الصحية ، كما يجب أن ينال قسطا مناسبا من التعليم والتهذيب . وطريق ذلك أن نسعى — حكومة وشعبا — إلى زيادة مواردنا القومية ، ليزيد تبعا لها دخل الفرد ، فتحسن حاله .

لدينا مساحات واسعة من الأراضي البور ، والأراضي المستصلحة ، وكلا النوعين لا يصعب استغلاله والاستفادة منه ، ولدينا مشروع خزان أسوان ، ومشروعات الري والصرف الكبرى ، ولدينا الصناعات الزراعية ، ولدينا الصناعات التي بدأت تنمو وتتفرع في سني الحرب الأخيرة ، ولدينا ثرواتنا المعدنية والمائية ولدينا غير ذلك من المشروعات الزراعية الاقتصادية التي لو أحسن استغلالها وأحسنت رعايتها لزادت موارد الشعب زيادة كبيرة ، ولقضينا بذلك على أهم مشكلة اجتماعية . . وهي الفقر .

أيها السادة : يسرني أن أقرر لكم أن حكومة الشعب مهتمة بهذا كله أبلغ اهتمام وهي عاملة على أن تكون الديمقراطية في مصر، قولا وعملا، متأصلة في كل نفس متغلغلة في كل قلب يحسها الغني من تلقاء نفسه فلا يطغى ، ويراها الفقير فيطمئن ويهدأ ، وهي جاهدة في خلق نظام تشعر فيه البلاد بالمساواة قدر المستطاع ، وتدرك منه الطبقات المختلفة أن التباعد بينها ليس كبيرا وأن الحياة في مصر ليست بشاقة كلها على أناس، بينما هي سهلة على آخرين، فلا يصل واحد الى التخمة وإلى جانبه فتى يتضور جوعا ، ولا يحيا إنسان حياة الترف وغيره يقاسي بؤس الحياة ألوانا .

فنحن أيها السادة نبغي لمصر حياة متناسقة متعاونة يشد بعضها بعضا فترى كل طائفة من طوائفها تأخذ حقها وتعطي ما عليها ، فلا طامع لقوي في ضعيف ولا لغني في فقير ، ولا لمستغن في محتاج ، بل يدرك الكل واجبهم ويقف عند حده ويعيش عيشة الهدوء والاستقرار .

بهذا تستطيع مصر أن تساير التطور المنتظر وتخرج مما يواجهها من مشاكل الحرب سليمة قادرة على النهوض بحاجات الزمن ومقتضيات الأحوال .

أما أن نحاول كما يظن البعض رفع مستوى الشعب بالحد من نموه وتناسله فهو قول يحرمه ديننا وتأباه عقولنا .

نشرت مجلة La Révue du Caire سنة ١٩٤١ مقالا لأحد مديري البنوك في مصر، جاء فيه : " لا مفر لنا من أن نختار أحد أمرين اثنين لا ثالث لهما فاما أن نعمل على إصلاح حالة الشعب بوقف نموه وإما أن نترك له الحبل على الغارب ، لينمو ويعيش في مستوى يزداد انحطاطا كلما كثر عدده " لا شك أن في هذا القول إمرانا وتشاؤما لأن صاحبه يستصعب مهمة الاصلاح ويرى أنها تزداد عسرا كلما تكاثر عدد الشعب . وإني أخالفه كل المخالفة، وأرى أن كثرة العلل لا تكون نتيجة لكثرة العدد إلا إذا تفشى الفقر وعمت

البطالة كأثر لانعدام الموارد الطبيعية للأمة، أما فى بلد كمصر حيث لازالت الثروات الطبيعية بكرا لم تستغل، فان الأمر يكون على النقيض .

بل عندى أن كثرة العدد تجعل أمر الاصلاح أسهل وأيسر، لأن هذا العدد كلما تزايد، تزايدت الأيدى التى تعمل ، والعقول التى تدبر وتفكر ، وها نحن أولاء نرى أن زعيمتى العالم فى العهد الحاضر، أعنى بهما بريطانيا والولايات المتحدة ، هما أحسن الأمم نظاما وأرقاها مستوى اجتماعيا مع أن عدد السكان فى كليهما ضخم بلا مراء، وكلما تزايد ازدادت الأمتان نظاما و إنتاجا وحضارة وعظمة، ولعل فى هذا دليلا جديدا على أنه إذا وجد حول الحكومة شعب كثير العدد كثير التفكير والعمل قام على هذا التعاون صرح نهضة اجتماعية عظيمة . ومن هنا نرى بعض الأمم الراقية تسعى بجد الى زيادة النسل، لا إلى تقليله، وتشجع الناس على ذلك بالمكافآت والإعفاء من الضرائب، وبكثير من الامتيازات والمساعدات، أى أنها تشجع الزيادة لا النقص، والنماء لا الفناء، والحياة لا الموت .

ولكى تروا كيف يكون نصيب الشعوب الناهضة من الاصلاح أذكر لحضراتكم أن الحكومة الانجليزية لم تنشئ مستشفى واحدا فى أى عهد فى تاريخ انجلترا، وما هذه المستشفيات المنتشرة فى تلك البلاد إلا عمل أفراد و جماعات، وكذلك هذه الجامعات الضخمة والمدارس الكبيرة إنما أنشئت بأموال الجماعات والأفراد، وهناك فى انجلترا بعض المؤسسات الاجتماعية الشعبية ، كبيوت برنارد التى تتولى جمع الاعانات فى الأعياد والمواسم ، وقد استطاعت هذه البيوت أن ترسل الى المستعمرات الانجليزية نحو ثلاثين ألفا من هؤلاء الأطفال ، فأصبحوا بفضلها رجالا يرفعون علم الامبراطورية فى جميع بقاع العالم .

ووزارة المعارف الانجليزية لم تنشأ إلا فى سنة ١٨٩٩ أى أن عمرها لا يزيد على ٤٤ سنة بينما التعليم فى انجلترا أقدم من ذلك بمئات السنين .

وفى سنة ١٨٦٥ كون القس وليام بوث " جيش الخلاص " لمحاربة الجرائم ومقاومة الرذيلة فى الأحياء الفقيرة فى لندن، ولهداية الضالين والغاوين الى الصراط المستقيم، وذلك بالارشاد والرفق وتيسير سبل الحياة القويمة ، أسس هذا الجيش " بيوت السجن " ليلجئ اليها الخارجين من السجون كما أسس البيوت الصناعية يهيئ فيها العمل الشريف للعدد العظيم من الرجال والنساء ، وأسس بيوتا للأمومة والطفولة .

وفى البلاد الأمريكية اليوم عدد لا يحصى من الجمعيات الخيرية التى تعمل لرخاء الشعب ورفاهيته .

وما لنا نلتمس المثل من الأمم العصرية وحدها ؟

ان الدول الاسلامية المتعاقبة، منذ انبثق فجر الاسلام على الكون ، لم تكن لها مدارس ولا جامعات منظمة، ولا وزارات للمعارف، و إنما كانت مدارسها وجامعاتها هى الحلقات

المضروبة حول عالم من العلماء ، أو باحث من الباحثين ، أى أن المثقفين من الشعب هم الذين كانوا يعلمون الشعب ، وهم الذين لقنوه علوم الدين والفلسفة واللغة والرياضيات والفلك وغير ذلك مما قامت عليه النهضات الاسلامية المتتالية .

بهذا وبغيره من الجهود المبذولة لإسعاد الشعب واعلاء شأنه بلغت هذه الدول ما بلغت من سمو ورفعة ، وشغلت فى اريخ العلم والمدنية أشرف مكان .

سادتى

ان روح التعاطف والحدب على الضعفاء قوية فى الشعب المصرى ، غرسها فيه دينه السمح وتقاليده الكريمة ، فما شاع نبأ عن مأساة من أى نوع الا تحركت فى القادرين النخوة ، وبدا السخاء فى أحسن صوره .

وما دمنا قد عقدنا العزم على أن نستعد حكومة وشعبا للأحداث التى تجرى سراعا فى أيامنا هذه ، حتى لا نؤخذ بها بغتة ، أو تفاجئنا حيث نحن فى منتصف الطريق ، فعلينا أن نعد العدة ونتخذ الأهبة ، علينا أن نسعى لاصلاح المجتمع المصرى من أساسه ، وما دامت الأسرة كما هو معلوم لحضراتكم هى أساس كل مجتمع بل هى المجتمع فى صورة مصغرة ، فكل إصلاح للأسرة المصرية هو إصلاح ونهوض بالمجتمع المصرى

لذلك كان من واجب المصلح الاجتماعى فى مصر أن يخص شئون الأسرة المصرية بوافر العناية والاهتمام .

علينا أولا أن نشجع تكوين الأسر ، وبعبارة أوضح أن نحارب الإعراض عن الزواج وذلك فى رأيى يكون بتخفيف مسئولية الحياة الزوجية وما تتطلبه من نفقات كثيرة ، كأن نساعد الأسر ذات الأبناء تمكينا لها من النهوض بأعبائها مقتدين فى ذلك بما تتبعه معظم الدول المتحضرة التى تمنح الأسر الكبيرة من الميزات ما يتناسب مع عدد أفرادها .

وعلينا ثانيا أن نعمل على توطيد العلاقات بين الزوجين على أساس وطيد من الاستقرار بتقييد الزواج بأكثر من واحدة ، وتقييد حق إيقاع الطلاق ، لأن شريعتنا السمحة وان أباحت التزوج بأكثر من واحدة لمصالح هامة وأغراض سامية فانها لم تبحه الا للقادرين المنصفين ، وحيث لا يخشى الجور أو الضرر ، كما أمرنا الله تعالى بوجوب الصبر والأناة قبل إيقاع الطلاق ، عسى أن تتقارب القلوب المتنافرة ، وتهدأ النفوس الثائرة .

لهذا وضعت الوزارة تشريعا يوجب استئذان القاضى قبل إيقاع الطلاق ، كما يقيد هذا التشريع تعدد الزوجات فلا يبيحه الا بشروط معينة .

ولما كان انتشار البغاء بنوعيه من أسباب الاعراض عن الزواج فقد خطت الحكومة

فى المدة الأخيرة خطوات واسعة فى القضاء عليه ، وهى — إلى أن يصدر قانون الالغاء وهو الآن فى مجلس الشيوخ — قد أصدرت الأوامر العسكرية بالغائه فى أكثر المناطق وبتشديد عقوبة من يمارس البغاء السرى أو يحرض عليه .

وعلينا بعد ذلك أن نصون أبناء الأسرة فهم عدة الغد ، وأن نعمل على اصلاح شأنهم وأن نسعى إلى نشأتهم نشأة صالحة ، وتزويدهم بأوفر قسط من الصحة والثقافة والخلق القويم .

كذلك يجب أن نحمى الأسرة من أخطار القمار ، والمراهنات بأنواعها ، فهى أخطار تعصف بالثروات وتهدد كيان الأسر ، وقد عم ضررها فى العهد الأخير كنتيجة للرخاء الحاضر . لهذا قد أصدرت خلال هذا الأسبوع قرارين بوصفى وزيرا للداخلية باغلاق أكثر من عشرة أندية للقمار فى العاصمة ، كما أعددنا تشريعا فى وزارة الشؤون الاجتماعية ، لحماية الأحدث من المحال العمومية ، ويحرم هذا التشريع على الأحداث الذين لم يبلغوا الحادية والعشرين دخول أندية القمار والسباق وسائر الأماكن التى تباح فيها المراهنات وما كان لمصر وهى تطمع فى أن تتبوأ مكانها فى العالم المتحضر إلا أن تجارى الدول الناهضة فى الأخذ بكل ما يرفع من شأن أحداثها ، ويعدهم للمستقبل الحافل بضروب النضال والكفاح

وهناك طائفة من الأحداث ، شاء القدر القاسى أن تشرد فى الطرقات العامة ، وأن تتخذ من هذه الطرقات مأوى وملاذا ، وأقصد بهم الأحداث المشردين ، تلك الطائفة البائسة ، التى قضت عليها الظروف العائلية القاسية بأن تنبذ فى الطرقات تقضى يومها فى التسول والتهام الفضلات ، تلك الطائفة التى فيها يخرج عتاة المجرمين ، والتى تسد السجون بالأغلبية العظمى من نزلائها ..

سادتى :

يجب ألا يقل اهتمامنا بالأحداث المشردين عن اهتمامنا باخوانهم المنعمين فى دورهم وبين ذويهم ، فهؤلاء من ظروفهم العائلية ما يحميهم من غوائل الدهر ونوائبه ، أما المشردون فليس لهم من يرعاهم ، أو يساعدهم ، فهم فى أشد الحاجة إلى اهتمام الحكومة ورعاية الهيئات الخيرية .

لهذا وضعت مشروعا ضخما لإنشاء عدد من الملاجئ فى مصر والاسكندرية ودمنهور والمحلة الكبرى فى قرى المهاجرين لإيواء أكبر عدد ممكن من هؤلاء الأحداث المشردين وتعليمهم الحرف والصناعات والقراءة والكتابة ، كما انتهت الوزارة من تعديل قانون التشرد بما يطابق روح العصر الحاضر ولن تمضى أسابيع قليلة حتى تنظر فلا ترى واحدا من هؤلاء يجوب الطرقات .

بهذا — سادتى — يمكن أن نصلح الأسرة المصرية ، التى هى نواة المجتمع المصرى ، وبهذا نحقق جانبا هاما فى الإصلاح الذى ننشده لبلدنا العزيز ، وبهذا نهيئ جيلا جديدا نافعا .

أيها السادة : من أول واجبات المصلح الاجتماعى فى مصر أن يعير الريف المصرى أوفى نصيب من العناية والاهتمام ، فنحن باهتمامنا به انما نهتم بالأغلبية العظمى فى هذا الشعب .

وللحكومة الحاضرة فى هـذا الميدان مشروعات ضخمة ، كما أن لوزارة الشئون نصيبها الأوفى فى هذه المشروعات ، وما مشروع المراكز الاجتماعيـة ، ومشروع اصـلاح القرية المصرية ، ومشروع الوحدات الصحيـة ، ومشروع نشر الملكيات الصغيرة عن طريق توزيع أراضى الحكومة على صغار الفلاحين ، ومشروع تدعيم الحركة التعاونية ، إلا جهود قد بذلت وتبذل لرفع مستوى الفلاح ، وتعويض بعض ما نتج عن اهمال شأنه أحقابا طويلة .

وما دمنا — أيها السادة — بصدد الحـديث عن المشروعات التى تقوم بها الوزارة أو تنوى تنفيذها لرفع مستوى الشعب اجتماعيا ، فجدير بنا ألا نغفل مكافحة الأمية .

فقد رأت الوزارة أن وصمة الجهل بأبسط أصول المعرفة يجب أن تزال ، وأن محو الجهالة من بين سواد هـذا الشعب لم يعد ضربا من المحال ، لأن الثقافة هى السبيل إلى نضوج الأفراد ، ونضوج هؤلاء هو بالتالى نضوج للأمة جميعا .

فشكلت لجنة لبحث مشكلة الأمية ووضع الأسس لمحاربتها والقضاء عليها ، وقد تناولت بحث حالة الأميين ، وعددهم ووسائل تعليمهم وخطط الدراسة وأماكنها ، والهيئات التى سيقوم على أكتافها تنفيذ المشروع ، وغير ذلك . وانتهت إلى أنه يجب تعليم كل أمى ممن تخطوا سن التعليم الإلزامى القراءة والكتابة والثقافة العامة .

وسيراعى فى تحديد أوقات الدراسة ظروف مختلف الطوائف وأوقات فراغهم ، وأن الوزارة لتعتزم التقدم بهذا المشروع الحيوى إلى البرلمان لإقراره والبدء بتنفيذه فى أقرب وقت مستطاع حتى تستأصل جذور الأمية من بين أفراد الأمة ، وحتى تثبت للملأ أن مصر أمة حية جديرة بما لها من ماض مجيد .

سادتى :

هناك نوع آخر من المشاكل ينتظرنا بعد الحرب ، فى مقدمتها مشكلة البطالة ، فقد أدت الحرب الحاليـة إلى كثير من الازدهار ووفرة الكسب لعـدد كثير من الصناعات والصناع ، فلدينا صناعات نشأت بسبب الحرب ، وهناك صناعات راجت وانتشرت بسبب صعوبة الاستيراد من الخارج .

ولا شك أن بعض هذه الصناعات سيصاب بصدمة قوية عندما تضع الحرب أوزارها وتعود الحياة إلى ما كانت عليه قبلها ، وسيترتب على هذا الانكماش فى الصناعة ، الاستغناء عن العدد الكبير من العمال والشبان ، وبهذا ستتعرض البلاد لموجة من البطالة لم يسبق لها مثيل .

ويسرنى أن أذكر لحضراتكم أن الحكومة الحاضرة قد فكرت فى هذا الأمر مليا وأولته ما يستحق من اهتمام وعناية ، وما زالت تعد له من الحلول مايضمن تخفيف وطأته .

سادتى :

هذه هى أهم علتنا الاجتماعية ، وإذا كنا قد جمعناها فى كلمة " العوز " على اختلاف صوره ، فهى كما ذكرت لحضراتكم تقتضى علاجها جهودا هائلة وعملا متصلا لا من الحكومة وحدها ، بل من الشعب قبل كل شىء ، فما سمعنا فى عصر من عصور التاريخ ، أن شعبا من الشعوب الناهضة ظل ساكنا عن إصلاح أحواله ، ملقيا هذا العبء على عاتق حكومته وحدها .

نعم إن ولى الأمر الحازم الحكيم ، ينفع شعبه أجل النفع ، لكن لا بد من أن تتماسك اليدان ، ويجتمع الجهدان ، والشعب يرى نفسه وأفراده أكثر مما يراهم الحاكم ، وليس معنى ذلك أن حكومة مصر تتنصل من تأدية ماعليها من واجب ، فهى بحمدالله من الشعب أولا وآخرا ، وهى تستهدى بهدى مليك كريم ، تسعده سعادة رعاياه ، وتؤلمه آلامهم ، ورئيس هذه الحكومة هو زعيم هذا الشعب ، وشريك كل مصرى فى سرائه وضرائه ، وزملاؤه وأعوانه يتبعون خطاه ، فما يطيقون أن يروا فى مواطنيهم جائعا ولا مريضا ولا جهولا .

صحيح أن الشعب المصرى الأبى الكريم ، قد بذل ويبذل جهدا مشكورا فى ميدان الإصلاح الاجتماعى ، فهناك المؤسسات الخيرية المختلفة التى ترعى الفقير ، وتؤوى اليتيم والمسكين ، وتعلمه الحرف والعلوم ، وهناك الهيئات الاجتماعية التى تسعى فى جد وأناة لإصلاح مختلف نواحى الفساد الاجتماعى .

وصحيح أن الحكومة المصرية بدورها مهتمة أشد الاهتمام بتنفيذ المشروعات الاجتماعية واستنباط الوسائل لإسعاد طبقات الشعب على اختلاف درجاتها ودرء الشرور عنها ، كما أنها معنية بوضع سياسة ثابتة لتحقيق أغراض هذا الإصلاح فى القريب العاجل إن شاء الله .

إلا أنه من واجبى أن أقرر فى صراحة وجلاء ، أن ما يقوم به الشعب ، وما تقوم به الحكومة ، هو دون ما تحتاج إليه الأمة المصرية بكثير ، فلا بد من مضاعفة الجهود ، وبذل كل نفس ونفيس لتحقيق الإصلاح الاجتماعى المنشود حتى يقوم كيان الأمة المصرية على أجسام سليمة ، وعقول سليمة ، ونفوس سليمة .

أيها السادة :

إن أساس الإصلاح فيما أرى ، أن يشعر كل من تظله سماء مصر حاكما أو محكوما بأن فى حياة مواطنيه نقصا يجب أن يستكمل ، ويوم يشعر الكل بذلك ، ويتحرك الكل لتلافيه ، فالنجاح مضمون بإذن الله " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون " .

فؤاد سراج الدين

النشاط الاجتماعى للدولة

(١) التضامن الاجتماعى .

(٢) مشروعات المستقبل لمواجهة البطالة .

(٣) حركة التعاون .

---

(١)

خطب رفعة رئيس الحكومة فى الاسكندرية فى أواخر شهر أكتوبر فجاءت فى خطاب رفعته هذه الفقرات :

" إننا منصرفون بأفكارنا وعقولنا إلى الإنشاء والتعمير، ومواجهة ماستخلفه لنا الحرب من مشاكل ومسائل معقدة . منصرفون إلى أن تكون الديموقراطية قولا وعملا متأصلة فى كل نفس ، متغلغلة فى كل قلب ، يحسها الغنى من تلقاء نفسه فلا يطغى ، ويراها الفقير فيطمئن ويهدأ ، متجهون إلى خلق نظام تشعر فيه البلاد بالمساواة قدر المستطاع ، وتدرك الطبقات المختلفة أن التباعد بينها ليس كثيرا ، والحياة فيها ليست بشاقة المشقة كلها على أناس بينما هى رخية الرخاء كله على آخرين ، فلا يصل واحد إلى الانتحام والى جانبه من يتضور جوعا ، ولا يحيا إنسان حياة الترف وغيره يقاسى بؤس الحياة ألوانا ، بل ينبغى لمصر أن تحيا حياة متناسقة متعاونة يشد بعضها بعضا ، فترى كل طائفة من طوائفها تأخذ حقها وتعطى ماعليها ، فلا طمع لقوى فى ضعيف ، ولا غنى فى فقير ، ولا لمستغن فى محتاج ، بل يدرك الكل واجبه ، ويقف عند حده ، ويعيش عيشة الهدوء والاستقرار . هنالك تساير مصر التطور المنتظر وتخرج مما يواجهها من مشاكل الحرب سليمة قادرة على النهوض بحاجات الزمن ومقتضيات الأحوال . وعندئذ نرى شعبا انتشرت فيه العلوم ونمت الصناعات ، وعم الإنتاج ، وتبادل مع شعوب الشرق والغرب مختلف المصالح ، ووقف إلى جانبها مساهما فى إنشاء جيل خير مما نحن فيه الآن ، وعادت مصر سيرتها الأولى مهدا للحضارة والتقدم والعرفان " .

وهذه الفقرات تعد وثيقة عظيمة فيها وصف دقيق لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية من ناحية ، ووعد بالعمل على تغيير هذا الوضع من ناحية أخرى ، وتصوير للنتيجة المنتظرة من هذا التغيير من ناحية ثالثة ، وآمال عظيمة فى المستقبل من ناحية رابعة .

وقد كانت البلاد فى حاجة ماسة إلى هذه الوثيقة بدلالاتها الأربع ، فإن فريقا من المصريين فى حاجة لأن يحسوا ما فى الواقع من نقص يجب إكماله حتى يتحقق لمصر نوع

من التوازن الاجتماعى بين جميع الطبقات ، وقد جاءهم بيان هـذا الواقع من أكبر رجل مسئول فى الدولة وهو رفعة رئيس الحكومة ورئيس الوفد صاحب الأغلبية الشعبية والبرلمانية فهم خليقون أن يحسوا مافى هذا البيان إذن من الصدق والقوة والعزم على تنفيذ ما جاء فيه من وعود .

وهذه الكلمات الواضحة كفيلة بعد هذا بأن تزيد فى ثقة الشعب بمستقبله الذى سيرتكن على أساس التضامن الاجتماعى بين القادرين والمحتاجين " فتدرك الطبقات المختلفة أن التباعد بينها ليس كثيرا وأن الحياة فيها ليست بشاقة المشقة كلها على أناس بينما هى رخية الرخاء كله على آخرين .

وللبلاد بجميع طبقاتها أن تطمئن إلى هذه الوعود التى سجلها رفعة رئيس الحكومة ، وأن ترتقب الإجراءات العملية لتنفيذها وجعلها حقيقة واقعة . فإن الظروف جميعها تحتم هذه الاجراءات ، والاتجاه العالمى كله يملى على مصر السياسة الواجبة الاتباع . فالتضامن الاجتماعى هو سمة العالم المنتظر بعد الحرب . وقد أخذت الشعوب الكبرى فى وضع المشروعات الملائمة لذلك ، وأشهر هذه المشروعات مشروع بيفردج للتأمين الاجتماعى . ذلك المشروع الذى وجد من يعارضه منذ الآن بحجة أنه لا يفى بتطورات المستقبل ! ، وسنرى ما يتجه اليه العالم الجديد .

(٢)

وفى أول هذه الفقرات التى اخترناها من خطبة رفعة رئيس الحكومة قوله : " إننا منصرفون بأفكارنا وعقولنا إلى الإنشاء والتعمير ومواجهة ما ستخلفه لنا الحرب من مشاكل ومسائل معقدة " .

وفى هذه الكلمات ما يدل على اليقظة المحمودة لما سيواجه البلاد من مشاكل حين تضع الحرب أوزارها ، ووراءها بالفعل اقتراحات تبحث ومشروعات تعد لمواجهة هذه المشاكل . وفى مقدمتها مشكلة البطالة ، فإن هناك نحو ثمانمائة ألف عامل وعدد كبير من الشبان المتعلمين يشتغلون الآن فى المعسكرات وغيرها من مستلزمات جيوش الحليفة وهؤلاء ، سيستغنى عن خدماتهم إذا انتهت الحرب ، كما أن هناك حوالى مائتى ألف عامل يشتغلون فى صناعات نشأت تحت ضغط الضرورة وانقطاع الواردات أو فى صناعات اتسع نطاقها بسبب هذه الظروف الطارئة ، ويخشى أن تختفى هذه الصناعات أو تنكمش حين تزول هذه الظروف فتخلف وراءها عدداً من العمال المتعطلين .

فإذا نظرنا الى هذه الحقائق و إلى الحقيقة المعروفة وهى أن العامل المصرى لا يعرف كيف يدخر فى أيام الرخاء لأيام الشدة اتضح لنا أنه من الضرورى التفكير منذ الآن فى ايجاد عمل لهؤلاء الذين سيتعطلون وغيرهم من سكان القرى الذين تضيق بهم الزراعة شيئا فشيئا فيرحلون الى المدن طلبا للكسب من الصناعة .

ورفعة رئيس الحكومة يقول : " إننا منصرفون الى الإنشاء والتعمير " وفى هذا حل للمشكلة من أيسر سبيل ، فالإنشاء والتعمير فوق أنه ضرورى لتقدم عمران البلاد واقتصادها فيه حل لمشكلة البطالة المنتظرة لأنه يستغرق العدد الوفير من الأيدى العاملة .

ونضرب مثلا لذلك بمشروع إنشاء عدد من الطرق وهو أحد المشروعات العمرانية التى يمكن أن تتجه اليها النيـة ، فهو مشروع ضرورى لتحسين حالة المواصلات فى البلاد وربط أجزائها الداخلية ربطا محكما يساعد على الأمن كما يساعد على تجميل البلاد وتيسير السفر فى قلب الريف بالسيارات الأمر الذى يوده كثير من السائحين والمصيفين على السواء .

فمشروع كهذا مضمون الفائدة من الوجهة العمرانية ، وهو كذلك حل سعيد موفق لطرف من أطراف مشكلة البطالة المنتظرة . وقد سبقتنا أمريكا الى مثل هذه المشروعات قبل الحرب حينما بلغت البطالة فيها حدا مخيفا ، فاقترح الرئيس روزفلت " مشروع الإنشاء والتعمير " على هـذا النسق فى نطاق واسع ، وكان له بالفعل أثره الطيب فى تحسين حالة البطالة بالولايات المتحدة .

وليس مشروع الطرق إلا مثلا لما يمكن أن تتجه اليه النية لمواجهة مشاكل ما بعد الحرب . وهناك غيره من المشروعات العمرانيـة متروك للفحص والتفكير حتى يكون مهيئا فى وقت قريب ، فهذه الحرب حرب مفاجآت . ولا يدرى أحد ما يكنه الغيب فى المستقبل القريب .

(٣)

وبينما تيسر مشروعات المستقبل فى طريق التحضير نرى وزارة الشؤون الاجتماعية تبذل عناية ظاهرة بمشروع قائم هو " مشروع التعاون " فقد عدلت قانون التعاون بما يزيد امتياز الجمعيات التعاونية ويحفظ أموالها ، ثم أخذ معالى وزير الشؤون يعقـد المؤتمرات العـامة للتعاون فعقد حتى الآن مؤتمرين أحدهما فى عاصمة الدقهلية والثانى فى عاصمة الغربية لشرح مزايا التعاون والحث على تنميته والتبشير بأنه سيصبح أساس الحياة الشعبية فى المستقبل .

وهذا النشاط التعاونى يجىء فى إبانه ، فان جميع الظروف الحاضرة تهيىء لنجاح الدعوة ، وفى مقدمتها حالة الغلاء الفاحش وصعوبة الحصول على ضروريات الحيـاة ، مما يجعل فائدة التعاون واضحة ملموسة فى حياة الأفراد والعائلات .

وهى فرصة تنتهز لتثبيت أسس الحركة التعاونية ، فقد كان مما يلاحظ بالأسف بطء نمو هذه الحركة فى الأعوام السابقة وضيق دائرتها ، حين لم تكن الحاجة ماسة إلى الاشتراك فى جمعيات التعاون للحصول على ضروريات الحياة . فاذا انتهزنا هذه الفرصـة لتثبيت أسس الحركة التعاونية فذلك خليق بأن يضمن لها اطراد النمو فى المستقبل بعد أن تزول هذه الظروف الاستثنائية .

ونحن فى حاجة للتبشير بالتعاون فى بلاد كمصر تنتشر فيها الأمية كما تنتشر الروح الفردية ، فليس التعاون عملا اقتصاديا فحسب ، ولكنه كذلك تربية لشعور الجماعة وتمكين لأسس الاجتماع فى آن .

ولقد كان التعاون هو العصا السحرية فى بلاد كالدانمرك ، إذ أحالت هذه البلاد جنة فى مدى نصف قرن من الزمان ، وأصبح الآن هـو عصب الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى تلك البلاد من أقصاها إلى أقصاها .

فالجمعية التعاونية هى التى تتولى عن الأفراد جميع العمليات التجارية والصناعية الخاصة بالحبوب والحيوان وضروريات الحياة الأخرى ، وهى التى تتولى عنه التصدير والاستيراد وما بينهما من عمليات معقدة لم يكن الأفراد ليتقنوها لولا جمعيات التعاون .

والدنمارك بلاد زراعية مثلنا ومساحة أرضها المنزرعة ربع مساحة أرضنا ولكنها كانت قبل الحرب تنتج وتصدر ما يزيد على صادراتنا النباتية والحيوانية ، وذلك بفضل حركة التعاون المتغلغلة فى كل ركن فى البلاد .

ولنا أمل وطيد فى أن نسير فى الطريق التى سارت فيها الدانمرك وبخاصة أن المستقبل سيحتم علينا التجديد فى وسائل الزراعة ، أى استخدام الآلات ، التى تعجز غالبية الزراع عندنا عن استخدامها بسبب ضآلة الملكية والعجز عن شراء هذه الآلات . وفى هذه الحالة يتقدم التعاون ليحمل العبء ، إذ تستطيع الجمعيات مالا يستطيعه الأفراد فى هذا المجال .

نهضة مصر الصناعية

لحضرة صاحب السعادة الدكتور حافظ عفيفى باشا

" ألقيت هـذه الكلمة بين يدى حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم عند تشريف جلالته لمصانع كفر الدوار فى الثانى عشر من نوفمبر ١٩٤٣ "

المحرر

مولاى

إن تشريف جلالتكم اليوم لهذه المنشأة الصناعية الحديثة لهو يوم يمن وطالع سعد للصناعة المصرية بأسرها .

إنه يا مولاى يوم مشهود يذكرنا بما لبيتكم العلوى من المآثر الجليلة فى بناء أسس النهضة الصناعية لمصر الحديثة .

وأى عجب أن نراك تشمل الحركة الصناعية فى مصر بسامى رعايتك وأنت يا مولاى نصير كل حركة عمرانية واقتصادية ورائد كل نهضة علمية تجيش بها مصر المستقلة .

أى عجب فى ذلك يا مولاى وأنت سليل محمد على ذلك المصلح المستنير الذى لم تترك عبقريته الشاملة ناحية من نواحى الانشاء والاصلاح إلا استوعبها . وحفيد اسماعيل الذى أراد بهمته الوثابة أن تغدو مصر قطعة من أوربا . وشبل فؤاد الذى وضع بثاقب فكره وسعة علمه واطلاعه قواعد الاصلاحات الحديثة التى شملت جميع مرافق البلاد .

لقد حظيت الصناعة المصرية فى ظل جدكم العظيم محمد على بأعظم قسط من الرعاية . وكما أنه قدر أهمية العمل على تدعيم قوى البلاد باقامة المنشئات الحربية والبحرية وإحياء النهضة الثقافية بانشاء المدارس والمعاهد العلمية المختلفة ؛ فكذلك لم تفته أهمية الصناعة فى البلاد لتحقيق رجائها ومن ثم كان ذلك المجهود الجبار الذى بذله فى بعث مختلف الصناعات الجديدة فى مختلف انحاء البلاد . وقد كانت صناعة الغزل والنسيج فى مقدمة الصناعات التى عنى بها . فأنشأ منذ سنة ١٨١٦ مصنع الغزل والنسيج الكبير بالخرنفش واستدعى له العمال الفنيين من ايطاليا وبدئ فيه بغزل خيوط الحرير ثم ضم إليه قسم لغزل القطن ونسجه .

ولما نجحت هذه الصناعة لم يكف انتاج هـذا المصنع حاجة استهلاك البلاد فأنشأ على مقربة منه مصنعا آخر لنسيج الأقمشة الحريرية ومصنعا ثالثا لغزل ونسج القطن ثم انشأ

بعـد ذلك فى بولاق عدة مصانع أخرى لغزل القطن ونسجه وأقام فى شبرا مصنعا لتبييض الأقمشة وطبعها ومصنعا آخر لصناعة الجوخ والأقمشة اللازمة لملابس الجند .

وفى عهده أقيمت عدة مصانع أخرى لنسج الأقمشة الصوفية اللازمة للبحارة المصريين بلغت أنوالها أربعة آلاف نول . وشملت هـذه النهضة الصناعية جميع أنحاء القطر بالوجه البحرى : فى قليوب وشبين الكوم والمحلة الكبرى وزفتى وميت غمر والمنصورة ودمياط ودمنهور وفوه ورشيد . وفى الوجه القبلى : فى بنى سويف وأسيوط . وبلغت دواليب الغزل فى هذه المصانع المختلفة مايقرب من ١٥٠٠ دولاب . .

ولم تقف همة هـذا المصلح العظيم عند هـذا الحد ولكنها تناولت أنواعا أخرى من الصناعات فأنشأ فى بولاق مسبكا كبيرا لامداد المصانع المختلفة بقطع الغيـار والآلات التى أمكن صنعها فى مصر .

ولم يفت المغفورله جدكم العظيم اسماعيل — إلى جانب ماأضطلع به من اقامة المنشئات التعليمية والاجتماعية والعمرانية . أن يشمل الصناعة بعنـايته ورعايته . فأنشئت فى عهده مصانع السكر الكبرى التى بلغت سبعة عشر مصنعاً فى مديريات بنى سويف والفيوم والمنيا وأسيوط وقنا . كما تجددت فى عهده مصانع النسيج التى تأسست فى عهد محمد على الكبير .

وجاء عهد المغفور له والدكم العظيم — طيب الله ثراه — متوجا لهذه الجهود المباركة فوضعت بتعضيده وارشاده المستنير أسس النهضة الصناعية الكبرى التى أخذت البلاد تجنى ثمارها والتى تبشر فى عصركم الفنى الزاهر بأعظم الآمال .

هذه يامولاى لمحة صغيرة من مآثر بيتكم العلوى الكريم على نهضة مصر الصناعية . فلا عجب أن تحظى اليوم هذه النهضة بميمون رعايتكم وسامى تعضيدكم وأنتم تجرون فى ذلك على سنن آبائكم الأماجد .

وهـذه المصانع يامولاى التى تشرفونها اليوم بزيارتكم الميمونة أنشأها المرحوم طلعت حرب باشا الذى كانت له اليد الطولى والفضل الأكبر فى بث الدعوة الصالحة لاهتمام المصريين بأمر الصناعة واشتراكهم فيها بأموالهم وعقولهم ومساعدهم والذى يرجع إليه الفضل الأوفى فى قيام هذه الصناعات المصرية الجديدة التى يرعاها ويمولها بنك مصر، كما كان إقدامه ونجاحه دافعا لعزائم غيره عن الممولين المصريين الذين قاموا على أثر هـذه التجربة الجريئة الناجحة بتأسيس شركات أخرى مصرية كثيرة فى العشرين سنة الأخيرة . وقد ساعد على قيام هذه النهضة المباركة التشجيع والتأييد المستمر الذى تلاقيه الصناعة من حكومة جلالة الملك .

وتقوم هذه الصنائع بتكملة سلسلة صناعات الغزل والنسج التى بدأت بتأسيس المؤسسة الشقيفة فى المحلة الكبرى وهى مختصة بانتاج خيوط الغزل السميكة من رقم ١٢ إلى رقم ٢٠ ومنسوجات من هذه الخيوط؛ بينما اختصت شركة كفر الدوار بانتاج خيوط من الغزل الرفيع من رقم ٢٠ فما فوق ومنسوجات رفيعة لم تنتجها من قبل شركات الغزل والنسج فى هذه البلاد . وعلى هذا فقد اختصت بالغزل والنسج فقط . أما الصناعة فتباشرها زميلتنا شركة البيضا التى استعدت لهذا العمل أحسن استعداد والتى يشرف عليها اختصاصيون لهم تجربة طويلة بهذه الصناعة .

صدر المرسوم الملكى بتأسيس هـذه الشركة فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٨ برأس مال قدره مائتان وخمسون ألف جنيه زيد بعـد ذلك الى خمسمائة ألف جنيه وبدأت الشركة فورا فى تأسيس البناء وفى استيراد الآلات والماكينات اللازمة لهذا المصنع .

وقد اختارت له أحدث الأنواع الأوتوماتيكية وهى آخر ما أخرجته الصناعة ابتكارا وجودة ووفرة انتاج ، وكان مقدرا لاتمام هذا المصنع ثلاث سنوات .

غير أن الحرب الأوروبية التى أعلنت فى سبتمبر سنة ١٩٣٩ أى بعد سنة واحدة من ابتداء التأسيس — كادت تحول دون امكان الحصول على شطر كبير من الآلات والماكينات التى كانت الشركة قد أوصت عليها المصانع الألمانية والسويسرية .

ولكن العناية الإلهية وحدها مكنت هـذه الشركة من الحصول على جميع ما ينقصها من الآلات من انجلترا وأمريكا فى أقصر زمن ممكن . وبذلك حلت مشكلة معقدة كان يخشى معها أن تتعطل هذه المصانع طول مدة الحرب فتحرم البلاد من كميات كبيرة من المنسوجات هى فى أشد الحاجة اليها

وقد تم استعداد هذه المصانع وبدأت باكورة انتاجها فى أول مارس سنة ١٩٤٠ — أى قبل أكثر من سنة من الموعد المقرر — وكانت هذه الباكورة تمتاز على الأقمشة التى تماثلها مما يرد من الخارج .

ومما يدعو للغبطة أن هذا المصنع قد وضع تصميمه معماريون مصريون وهم مهندسو المحلة الكبرى وقام بانشائه مقاول مصرى هو محمد بك حسن العبد .

وقد أوفدت الشركة ، بمجرد البدء فى تأسيس هذه المصانع ، بعثات مختلفة الى المصانع الانجليزية المختصة بهذا النوع من الصناعة بلغ عدد أفرادها ٧٣ شابا مصريا ممن أتموا دراستهم

فى المدارس المصرية الصناعية ثم ترنوا بعد ذلك فى مصانع المحلة الكبرى فارسلت منهم الى كلية بلاكبورن بعثة مؤلفة من ١٦ عضوا لتعلم صناعة الغزل وما يتعلق بها ، و بعثة أخرى مؤلفة من ٥٠ عضوا لصناعة النسيج وما يتعلق بها أيضا، و بعثة ثالثة مكونة من ٧ أعضاء ميكانيكيين لأعمال الصيانة ولما عادوا إلى مصر اشتركوا بأنفسهم فى تركيب ما كان قد وصل إلى مصانع الشركة من الآلات والماكينات مما ساعد على البدء بإنتاج سريع .

ويقوم بالعمل فى هـذه المصانع نحو ٣٥٠ موظفا — كلهم من أبناء هذه البلاد — يتقاضون مرتبات سنوية تبلغ حوالى ٦٠ ألف جنيه . أما العمال فيبلغ عددهم نحو ٥٠٠٠ عامل يتناولون أجورا تبلغ نحو مائة وتسعين ألف جنيه فى العام وليس بينهم من الأجانب إلا ستة أشخاص منعت الحرب عودتهم إلى بلادهم .

وقد قامت الشركة ـ لرفاهية موظفيها وعمالها ـ بإنشاء المساكن الصحية لهم ،وهى تزيد من هذه المساكن بلا انقطاع لإمكان إسكان أكثر عدد ممكن. كما أنشأت مطعما صغيرا للعمال يتناول فيه من يريد منهم الطعام بأثمان زهيدة تساهم الشركة بجزء منها . وقد أعدت الشركة مشروع بناء مطعم كبير يتسع لجميع العمال . وقد عرضت هذا المشروع على المقاولين للمناقصة وستبدأ فى انشائه قريبا إن شاء الله . كما تعنى الآن بتوفير وسائل الألعاب الرياضية و بإنشاء عيادة طبية ومسجد ومدرسة لهم .

* * *

هذه يامولاى لمحة سريعة عن هـذه المصانع التى تفضلتم بزيارتها اليوم . وستكون هذه الزيارة الميمونة بداية عصر جديد زاهر لهذه المؤسسة ولغيرها من المؤسسات الصناعية فى مصر .

حفظ الله ذاتكم الكريمة المحبوبة . وأمد فى حياتكم المباركة . وجعلكم داعما نبراسا للصناعة المصرية وللنهضة المصرية فى جميع نواحيها .

النهر المتعطل

ومشروعات المستقبل

النيـل نهر متعطل بين أنهار الدنيا التى تماثله والتى هى دونه بمراحل ، ولو كنت حاكما للأنهار لفكرت فى أن أرسل اليه بإنذار تشرد كالذى ترسله السلطات للمتعطلين من الأفراد ! لو لا أنه نهر معذور فى تعطله ، مستعد للعمل فى كل لحظة ولكنه لايجد ما يعمله !

ولقـد ظل هـذا النهر عشرات الآلاف من السنين أو مئاتها يعمل فيما هيئ له من رى الأرض ، حتى قيل بحق إن "مصر هبة النيل" ولم يقصر فى هذا العمل الرئيسى الهام طوال هذه الأجيال ، وكلما طاب اليه الجود فاضت يداه ، وكلما وجه للخير ذهب فى كل اتجاه !

الا أن الأنهار لا تقوم بالرى وحده ، فالرى وظيفة واحدة من وظائف الأنهار فى الدنيا والنيل أبو الأنهار صالح لأداء عشرات من الوظائف الأخرى هو وشاطئاه الطويلان ، فعلينا نحن أن نوجهه لهذه الوظائف وألا نتركه متعطلا معرضا لإنذارات التشرد !

وسنذكر من هذه الوظائف الطائفة الرئيسية التى يستطيع أداءها فى يسر واتقان :

(١) توليد الكهرباء من مساقط الميـاه .

(٢) الملاحة النهرية .

(٣) الكورنيش النهرى .

(٤) مصايد الأسماك .

وقبل أن نتحدث عن هذه الوظائف وفائدتها لحياة الوطن ونموه ، وأثرها فى رقى البلاد وتجميلها ، يجب أن نذكر أننا مضطرون للاتجاه اليها اضطرارا بحكم ظروف المستقبل القريب.

إن هنالك مشكلة تنتظرنا عقب الحرب مباشرة ، ويجب أن نعد لها العدة منذ الآن ، ونحن نعرف أن الدوائر الحكومية المسئولة تعد هـذه العدة فعلا . هـذه المشكلة هى مشكلة البطالة لعدد كبير من الأيدى العاملة التى تستغرقها ظروف الحرب الطارئة .

هـذه الأيدى ستتعطل لأن العمل فى المعسكرات وسواها من الأعمال المتعلقة بالحرب سينتهى ويخلف مئات الألوف بلا عمل ، ثم إن الصناعات الكثيرة التى اتسع نطاقها بسبب الحرب والصناعات الكثيرة التى نشأت تلبية للظروف الوقتية ستنكمش عند انتهاء هـذه الظروف وتلفظ الكثيرين ممن يعملون فيها . فإذا أضفنا الى هـذا أن الزراعة الآن مزدهرة

للأسباب نفسها ، ولرواج الأعمال الزراعية ، وأن هذا الرواج غير مضمون حينما تعود الأحوال الى ما كانت عليه ، مع علمنا بأن أعمال الزراعة لم تكن تستغرق جميع الأيدى العاملة فى الريف ، فإن هذا يشير الى طرف من أطراف المشكلة التى سنواجهها ...

لابد إذن من التفكير فى وسائل للعمل بعد الحرب مباشرة ، والجهات الحكومية المسئولة كما قلت تفكر فى المسألة على هذا الأساس ، فكل عملنا إذن فى هذا المقال أن نشير الى بعض وسائل العمل الممكنة بتمكين النهر المتعطل من العمل فيعمل معه عشرات الألوف من أبنائه المتعطلين !

والآن فلنتحدث عن كل وظيفة من هذه الوظائف الأربع التى اخترناها فى صدر هذا المقال :

١ — توليد الكهرباء من مساقط المياه :

هذا مشروع مدروس ، وقد كاد يتقرر الشروع فيه بالنسبة الى خزان أسوان ، وقيل يومها إننا سنستخدم جزءا من القوة الكهربائية فى صنع السماد . . . الخ .

ونريد ن نقول : ان بعض البلاد الأوربية والأمريكية تستخدم كل مساقط المياه القليلة الأهمية وتنشر بها الانارة الكهربائية فى القرى ، والطاقة الكهربائية فى المصانع الصغيرة حولها ، ونهر النيل ذو الرياحات والترع والقنوات والمصارف ، غنى بهذه المساقط التى يمكن استخدامها شيئا فشيئا ، فتشيع فى حياة البلاد الاقتصادية والعمرانية روحا جديدة ، ورخاء جديدا .

وقد لا يكون لمثل هذه المشروعات أثر مباشر فى مواجهة مشكلة البطالة التى تحدثنا عنها ، ولكن لها أثرا لا شك فى حالة البلاد الاقتصادية والعمرانية ، وفى نشاط الصناعة وتفلغلها ، ولهذا كله أثره المحتوم فى حالة العمل واستغلال النشاط .

وقد يقع فى كثير من الأحيان أن يكون استخدام قوى الطبيعة سببا فى تعطل القوى البشرية العاملة ، ولكن هذا لا يلبث إلا ريثما تتغير ظروف العمل وتتحور ، وتتفتح أوجه جديدة للعمل فى المحيط الجديد والظروف الجديدة .

وحسبنا من مثل هذه المشروعات أنها تيسر القوى الدافعة لعشرات المصانع الكبيرة ومئات من المصانع الصغيرة ، وأن تستطيع بواسطتها إنارة المدن والقرى وكهربة بعض الخطوط الحديدية . . . الى آخر ما ينتفع فيه بالقوة الكهربائية . . وما ينتجه ذلك من أثر حاسم فى مدنية البلاد واقتصادها واجتماعها وهو ما يمكن التعبير عنه عند تمامه بالانقلاب .

٢ — الملاحة النهرية :

عرف النيل منذ مئات الأجيال تلك المراكب الشراعية الصغيرة والكبيرة ، ولكنه لم يعرف إلا قليلا كيف يكون طريقا للملاحة النهرية البخارية كما يعرفها نهر «الفولجا» مثلا . وفيما عدا شركات أجنبية صغيرة للملاحة النهرية تسير بضع زوارق وجرارات ، بقى النيل متعطلا لايحمل إلا سفن الشراع .

والذين تتبعوا أخبار الحرب الروسية أيام وقائع "ستالينجراد" عرفوا المهمة العظمى التى اضطلع بها نهر "الفولجا" فى النقل الحربى والمدنى فى هذه الظروف الحرجة ، والخدمة التى أداها للوطن الروسى فى أشد اللحظات .

أفيعجز النيل العظيم — أبو الأنهار — عن القيام لمصر بمثل هذا الواجب المحتوم ، وهو الذى لم يعجز عن واجب لمصر منذ مئات الآلاف من السنين ؟

والملاحة النهرية تستطيع أن تصنع لمصر الشىء الكثير فى اقتصادياتها جميعا ؛ فالسكك الحديدية قليلة فى مصر نسبيا ، أما الطرق البرية فسيئة جداً (وسنتحدث عنها فى النقطة التالية) فيجب إذن أن نعتمد اعتمادا أساسيا على الملاحة النهرية فى نقل المحصولات والآلات ، وفى نقل الركاب إلى داخلية البلاد ، إذ أن محطات السكة الحديدية معظمها فى المدن التى تبعد كثيرا أو قليلا عن قلب البلاد الريفية .

وهـذا النهر المنساب بين القرى والمدائن يستطيع أن يريح الآلاف من أبنائه فيحملهم إلى قراهم آمنين مطمئنين ، إذا انسابت فيه المراكب البخارية من شتى الأحجام والأنواع .

فما الذى نحتاج اليه لتنفيذ مثل هذا المشروع؟

شركات مصرية تنشئ موانئ نهرية على طول شواطئ النيـل المديدة ، وتشترى السفن البخارية ، وتتولى عمليات النقل التى لاتنهض بها السكك الحديدية .

وسيكون لهذا المشروع أثر فى حياة البلاد الاقتصادية والاجتماعية لاشك فيه . فهو أولا سيوجد أسواقا محلية قريبة للحاصلات الزراعية المختلفة ، ويوفر على الزراع والتجار مايعانونه من المشاق فى حمل المحصولات إلى محطات السكك الحديدية وشحنها ، لأن المحطات النهرية ستكون أقرب والشحن فيها أيسر . وهو ثانيا سيستخدم عددا ضخما من الأيدى العاملة فى الموانئ والسفن وأعمـال الشحن والنقل المختلفة حيث يعيش هؤلاء العمال فى جو ريفى تقريبا فلا يتعرضون لمـا يتعرض له عمال المدن من الآفات الصحية والخلقية . وهو ثالثا سيخلق فى البلاد جمالا لاعهد لها به ، فالمنقلة فى النيل الجميل والرسو على موانئه المتناثرة فى جوف البلاد سيكون متعة يحرص عليها طلاب النزهة الذين لايجدون مثل هذه السفرات الجميلة .

والنزهات الرائعة التى يروى نبأها رواد السين فى فرنسا والفولجا فى روسيا والرين فى لمانيا لا يقصر النيل الخالد الرائع فى تحقيقها للمصريين ، الذين يسمعون هذه الأنباء فيتخيلونها فى عالم السماء وهى منهم قريبة ، والنيل الطيع يحققها لمن يريد .

إن الذين يعيبون على الفن المصرى الحديث أنه لم يخلد النيل العظيم ، لايحسبون حساب الواقع ، وهو أن النيل غريب عن سكان وادى النيل ، لايكادون يرونه إلا لحظات عابرة ، وأنهم لايستمتعون من جماله ونزهاته بالقليل ولا الكثير .

فإذا تم مثل هذا المشروع الذى ندعو إليه ، وقامت الموانئ النهرية الجميلة على شاطئيه ومخرت فيه الزوارق تشق عبابه وتنساب بين الوادى المخضر الجميل ، فعندئذ يعرف الفنانون جمال النيل ، وتسجله أغانيهم وقصائدهم ولوحاتهم أجمل تسجيل .

٣ — الكورنيش النهرى :

وكورنيش النيل . . . إنه حلم من الأحلام الشاعرية الجميلة ، ولكنه حلم اقتصادى كذلك من جميع الوجوه . فحالة الطرق فى مصر متأخرة حتى عن بعض البلاد العربية كفلسطين فى الشرق ومراكش فى الغرب ، وقد أنشئت أخيرا بضع طرق اقتضتها ظروف الحرب فكانت حسنة من حسناتها ، ولكننا لانزال فى حاجة ماسة إلى الإسراع فى استكمال المواصلات البرية ، وكورنيش النيل يؤدى فى وقت واحد جملة أغراض هامة للبلاد منها :

(أولا) إيجاد طريقين رئيسيين يشقان البلاد من أقصاها إلى أقصاها و يتصلان بالطرق المقاطعة لها فى الداخل ، فترتبط البلاد بشبكة من الطرق البرية لها أثرها فى الانتقال والنقل وحفظ الأمن فى البلاد وارتباط مدنها وقراها على الشاطئين . وفى الداخل وهو ماينقصنا الآن ، وهو لازم لحياة البلاد الاقتصادية والعمرانية ومكمل لوظيفة النقل النهرى السابقة .

(ثانيا) استخدام عدد كبير من الأيدى العاملة فى شق هذه الطرق الرئيسية ، وهو عمل ضرورى لمواجهة مشكلة البطالة بعد الحرب مباشرة . ومثل هذا المشروع يعد مشروعا اقتصاديا بما يسببه للحركة التجارية والعمرانية من نشاط ، فإذا أدى أيضا إلى مواجهة مشكلة البطالة كان ذلك من حسناته الإضافية .

(ثالثا) كشف وجه النيل الجميل على الشاطئين فتقوم عليهما سلسلة من العمائر والفيلات الجميلة ، تجعل حافتيه جديرتين بالنهر الخالد ، وتجمل الريف الكئيب ، وترد اليه كثيرا ممن هجروه لقبحه وكآبته ، كما تجعله مرادا للرياضة والنزهة لسكان المدن القريبة ، الذين يستطيعون السفر إذ ذاك بالسيارات و بالسفن البخارية على السواء .

وإنه ليبدو حلما شاعريا جميلا ذلك "الكورنيش" المتلوى على الشاطئ الخالد ، وهنا وهناك تناثرت الجواسق والقصور ، وتناثرت كذلك الموانئ النهرية الصغيرة ترصع الشاطئ المتلوى المنساب .

إن الريف المصرى ريف مهمل كئيب ، لأن شرايين الحياة لا تتصل به لا فى البر ولا فى النهر ، فإذا تهيأ لهذه الشرايين أن تتصل به أمدته بالحياة وأشعرته الوجود وأكسبته النضارة ووسمته بالجمال .

إنه حلم ! فمتى تتحقق الأحلام ؟

٤ — مصايد الأسماك :

ومصر بلاد يحدها بحران ويشقها نهر كبير ، ومع هذا لا تجد كفايتها من السمك . فتبلغ أسعاره فيها حدا مرتفعا يعز على الاوساط من الناس ، بله الفقراء .

والنيل وحده كان كافيا لإمدادها بغذاء من السمك يرفع نسبة التغذية فيها درجات والنيل غير ضنين ، ولكن أهله خائبون !

وككل شىء فى هذا البلد العجيب كانت معظم مصايد الأسماك فى يد جماعة من الأجانب معظمهم من الطليان ، فلما قضت ظروف الحرب بإبعادهم تعطلت المصايد ونقص المستخرج من السمك إلى حد كبير ، وحدثت هذه الأزمة التى نراها الآن فى لحوم السمك ، وارتفعت أثمانها هذ الارتفاع .

ومصايد الأسماك مشروعات استغلالية مربحة ، فسبيلنا إذن إلى الربح هو تنظيم هذه المصايد بتأليف شركات مصرية كثيرة للاستغلال على شاطئ البحرين وفى النيل العظيم . وهذه الشركات تستطيع أن تؤدى لنفسها ولمصر خدمات عظيمة . تستطيع أن تربح وأن تستخدم مئات بل ألوفا من الأيدى العاملة فى شتى صناعات الصيد المباشرة وغير المباشرة ، وأن تكفل للسكان موردا من الغذاء الجيد على مدار العام .

ولا يكلفنا هذا إلا أن نفتح أعيننا ، وأن نولى وجوهنا وجهة الكسب الحر المبتكر ، كما يصنع الأجانب الكثيرون تحت سمعنا وبصرنا فى كل يوم بينما أغنياؤنا منصرفون إلى شراء الأرض بأضعاف ما تستحقه حسب نسبة إيرادها ، وشباننا منصرفون إلى الوظائف الحكومية حتى أعمال اليومية ، والأجانب وحدهم يغزون موارد الرزق الغزيرة بلا منافسة من أهل البلاد .

تلك بعض مشروعات المستقبل ؛ فى دائرة النهر المتعطل ، النهر الذى لا نظير له بين أنهار العالم فى مزاياه ، وهو معطل عن العمل حتى ليستحق إنذار تشرد ، لولا أنه معذور يطالب العمل فلا يلقاه ! ولو أجيب لملأ البلاد خيرا وصحة وجمالا ، ولما قبع هكذا فى مجراه مكتفيا بعملية الرى التى ظل يقوم بها عشرات الأجيال فى رتابة واطراد ، أحسبه سئم منهما وملها وآه لو ينطق النيل ، إذن لجهر بالسآمة والملال .

وظيفة الفن والصحافة فى بناء المجتمع وتوجيهه

بقلم الأستاذ سيد قطب

لا أستطيع أن أسلم لحظة واحدة بقص أجنحة الفن الجميلة التى يسمو بها عن الواقع المحدود حين يريد ، ويحلق بها بعيدا عن قيود الضرورة وعن الصراع الأرضى المضنى فى سبيل لقمة العيش وضروريات الحياة .

وفى اعتقادى أن هذا يتنافى من أساسه مع وظيفة الفن ومبعثه الأصيل فى النفس الإنسانية . فهذه النفس أكبر من ضرورات العيش اليومية ، ومطالبها لاتنتهى عند لقمة الخبز ، بل تبتدئ من هذه النهاية . وهى لاتبذل لضرورات العيش إلا الجهد الذى تحصل به على هذه الضرورات فاذا ادركتها سارعت إلى تلبية الأشواق العلوية فيها . أى سارعت إلى الفن تحاول أن تجد عنده مالا تجده فى هذا العالم الأرضى المحدود . فاذا شغل الفن نفسه بمطالب العيش كذلك لم تجد هذه النفس مهربا من حيز العيش الضيق ، وبطلت وظيفة الفن من أساسها كما نقول .

ولقد ضاقت فسحة الأرض عن أشواق النفس الانسانية حتى فى إبان طفولتها ، فتطلعت إلى الدين ليهبها عالما آخر أفسح من عالم الأرض المحدود أو لتجد فيه على الأقل قوة أخرى أكبر من القوى الأرضية الصغيرة ؛ وتطلعت إلى الفن ليهبها عالما آخر أجمل من عالم الواقع ، أو لترى فيه على الأقل جمالا أحلى من المشاهد اليومية المألوفة . ولو كانت لقمة الخبز والصراع عليها تستغرق طاقة النفس الإنسانية كلها لكانت خليقة أن تستغرقها وهى فى طور السذاجة البدائية ، وقبل أن تطوع قوى الطبيعة المادية لخدمتها وراحتها كما هو الحال الآن .

وكل دعوة إلى قص أجنحة الفن الجميلة ، وحصره فى دائرة الصراع الأرضى ، وفى مطالب العيش ونضال الطبقات ... إنما تصدر عن ضيق فى النفس وارتكاس إلى الطور الحيوانى فى حياة الإنسان ، قبل أن تنبض فى نفسه الحاسة الفنية ، التى تنزع به حتما إلى التحليق فوق الواقع ، والانفلات من ضرورات العيش وأثقال المادة .

ولن يغفل حساب الأشواق المجهولة فى النفس الإنسانية ، وحساب التطلع إلى المثل العليا ، إلا انسان فرغت نفسه من النوازع الإنسانية ، واستغرقه الجانب الحيوانى فى حسه إلى أقصى الحدود . فاذا لم نغفل هذا التطلع وتلك الأشواق لم يكن بد من أن نطلق الحرية للفن ، ليزداد بنا عوامل أخرى أجمل من عالمنا المحدود ، أو على الأقل ليعمق ويوسع جوانب هذا العالم المشهود ويكشف عما فيه من محاسن ومفاتن ، ويروح عن نفوسنا من صراع العيش ونضال الطبقات .

أما تثقيف الجمهور والفحص عن مشاكله ، وتوجيهه التوجيه المباشر فى الاجتماع والسياسة والاقتصاد ، وسائر ضرورات الحياة ، فوظيفة أخرى واجبة تنهض بها المدرسة وتنهض بها الصحافة ، وينهض بها رجال السياسة والاجتماع بالخطابة والكتابة وجميع الوسائل الأخرى . حتى إذا شبعت النفوس من هذه المادة الأرضية ، وأحست بالرغبة فى إشباع الجانب العلوى فيها ، وفى إرواء حاسة الجمال والطلاقة تلفتت حينئذ الى الفن فوجدت عنده شيئا آخر غير هذا "الوحل" الأرضى ، أجمل وأعلى وأخلد ، من كل ما كانت فيه؟

تختلف وظيفة الصحافة إذا عن وظيفة الفن بالقياس إلى المجتمع . ولكنى لا أحب أن يفهم الناس من هذا أن الفن شىء كمالى أو لا وظيفة له فى الحياة .

فالفن ليس أمرا كماليا لأنه ضرورة نفسية تعادل الضرورة الجسدية ، فاذا اقتضى الجسد وإشعاعاته الذهنية مطالب وضرورات لا بد منها لدوام الحياة ، فإن الروح تقتضى كذلك مطالب وضرورات لا بد منها لرقى الحياة . هذه المطالب والضرورات النفسية هى وظيفة الفن كما هى — فى وضع آخر — من وظيفة الدين . لا بل إن الدين ليأخذ نفسه بتنظيم المجتمع بجانب ما يهبه للروح الانسانية من العقيدة العلوية ، أما الفن فليس مطالبا بهذا التنظيم ، لأنه لا يأخذ نفسه إلا بتزويد الروح الانسانية بالعقيدة الفنية أو باللذة الوجدانية ، وهذه اللذة الفنية ليست شيئا كماليا كما قلت إنما هى ضرورة انسانية كضرورة الطعام والشراب ، ولن يستغنى عنها إلا الكائن الحيوانى الذى لا فسحة فى حسه لغير الطعام والشراب !

وللفن وظيفة أساسية هى ترقية الحياة . فهو أبدا إما أن يبرز لنا أجمل ما فى هذه الحياة وإما أن يرفرف الى عوالم أخرى أجمل من العالم المحسوس ، وهو فى أثناء ذلك يرهف الحس ويشوق النفس الى هذا الجمال المكنون أو المتخيل فيبرز الهوة التى تفصل بين الواقع الناقص المشوه الذى نعيش فيه وبين الصورة الجميلة التى يبرزها أو يخلقها ، فتتطلع النفوس اليها ، وتبذل الجهد والمال والحياة فى بعض الأحيان لتحقيقها . وهذا ما نعنيه بترقية الحياة ، التى لم تكن لتتحقق اولا الحاسة الفنية التى تتطلع دائما الى الأسمى والأجمل والأخلد .

وليس هذا كلاما يقال . انما هو قول ضرورى لتعليل كل تضحية يبذلها فرد فى سبيل مثل أعلى من أى نوع وفى أى اتجاه . هذه التضحية التى تتناول الجهد أو المال أو الحياة نفسها ، لتحقيق هدف أكبر من ضرورات العيش بل أكبر من الحياة .

* * *

للفن وظيفة اذن يؤديها أرفع من وظيفة الصحافة والخطابة والسياسة ، وأرفع من الإصلاح الاجتماعى المحدود ، ولكن هذه الوظيفة لا تتنافر مع الاصلاح الاجتماعى ، بل هى تؤيده وتدعو اليه ؛ ولكن من طريق غير مباشر ، طريق الحرية التى تطلب ما هو أكبر من الواقع وما هو أجمل من الواقع ، وطريق ارهاف الحس للسخط على النقص والقبح والنشاز وطلب الكمال والجمال والانسجام .

فالفنان رسول اصلاح اجتماعى ، ولكنه ليس داعية اجتماعيا ، أو على الأقل لا يجوز أن نكلفه مهمة الدعوة المباشرة لأنه بوسائله الخاصة يترك أثرا أعمق وأخلد من أثر الداعى المباشر ، فإن ميدان عمله هو جوهر النفس الإنسانية ، وماهية عمله هى اعداد هذه النفس لتقبل دعوة الخير والجمال ، والسخط على القبح والنقص ، فى كل صورة وكل وضع ، فى ميدان الاجتماع أو الاقتصاد أو الأخلاق .

ولكن بعض الفن يتجه فعلا الى الاشتغال بالواقع ، فيغمر نفسه فى صراع الطبقات ، أو يعنى بالتوجيه الخلقى أو الاجتماعى المباشر ، أو يتجه الى العكس فيلبى الغرائز وضرورات الجسد ، أو يتخذ وسائل العلم فى التحليل والتعليل . وأنا لا أتردد فى الحكم على هذا اللون من الفنون بالانحراف عن جادة الفن وبالهبوط عن مستواه الرفيع ، مهما بلغ من الدقة والجودة . فسبيل الفن أن يدعونا دائما الى ما هو أكبر من الواقع وأجمل من المحسوس ، والانسانية تقضى معظم وقتها فى صراع العيش وضرورات الغريزة حتى تمل هذه وذاك ، فما قيمة فن يردها بعد ذلك الى مثل ما كانت فيه ، بحجة أن ما يصوره " واقعى " ؟ إن كونه واقعيا بهذا المعنى المحدود هو الداعى لأن تتجافاه الفنون . فالمثل العليا والرغبات المكنونة هى الأخرى "واقعية " بالقياس الى النفس الانسانية ، ذات القوتين الكبيرتين : قوة الحرص على دوام الحياة ، وقوة الحرص على رقى الحياة .

" الواقعية " إذن لا تصلح حجة لشغل الفن بالأمور المحدودة والضرورات الملحة ، لأن هناك ضرورات روحية واقعية كذلك تتطلب الطلاقة من كل هذه القيود . ولكن لا يفهم أحد من هذا أن الفن إذن هو " التخريف " أو "التجديف" فحدود الفن هى الجمال والجمال لا يكون مع الفوضى أو الانحلال .

ونصل بهذا إلى نقطة أخرى فى الموضوع هى صلة الفن والصحافة بالجمهور ، وكيف تكون ليتحقق نجاحها فى أداء وظيفتها .

بعض المشتغلين بالفن وبالصحافة فى مصر ينظرون إلى الرواج كأنه غاية النجاح المطلوب ، وتلك نظرة تجار مسترجين ، لا نظرة فنانين ولا صحفيين . والرواج مع هذا — ليس عيبا ولا مذموما ، ولكن يجب أن ينظر فى الحكم عليه — إلى السبب والوسيلة .

ففى كل نفس إنسانية — مهما انحطت — خيطان متجاذبان : الخيط الأول هو تلبية الرغبات الغريزية والضرورات الوقتية ، والخيط الثانى هو تلبية الرغبات العلوية والضرورات الخالدة ، وبتعبير آخر خيط الهبوط وخيط الصعود . وفى كل نفس استعداد كامن للأمرين على السواء .

وطبيعى أن تلبية الغريزة ألذ وأسهل من تلبية الروح ، والجهد الذى يبذل لاستمالة إنسان ما إلى طريق الانحدار أيسر بكثير من الجهد الذى يبذل فى استمالته إلى طريق التسامى

ولكن شرف الفن وكرامة الصحافة يجب أن يتجها الى الطريق الأخير ؛ وحينئذ يكون الرواج فضيلة ؛ كما يكون دليلا على المهارة الفنية أو الصحفية .

فلننظر إلى الفن الرائج والى الصحافة الرائجة لنرى أى الطريقين يسلكان فى هذا الجيل؟

من المؤلم أن نقرر أن معظم الفن ومعظم الصحافة يتمسك بخيط الهبوط لا بخيط الصعود. ففن الغناء بلا استثناء فى هذا الجيل ، وشىء من التصوير ، وبعض من الشعر والكتابة ، وغالبية الأفلام السينمائية ومعظم المجلات الأسبوعية ... كل هؤلاء يتخذ إرضاء الغرائز الحيوانية سبيله الى الرواج والنجاح .

هذه المطربة التى تئن وتتهالك ، وهذا المطرب الذى يتكسر ويتخلع ، وهذا المصور الذى يبرز مطارح الغريزة بلا ضرورة ، وهذا الكاتب الذى يسجل نزوات الجسد ومقاذر الغريزة ، وهذا الشاعر الذى يتعمد ايقاظ الشهوة المريضة ، وهذا المخرج الذى يبرز المنظر المثير وقد يكون زائدا فى الفيلم ، وهذه المجلات التى تنشر الصور الآدمية العارية ، وتصف بجانبها مخازى البيوت ومساقط المجتمع ... كل هؤلاء إنما ينشدون الرواج من أقذر طريق ، لأنه أيسر طريق !

وتسألهم فى ذلك فيجيبون بأن الجمهور يريد ، وبأن الرواج دليل على رغبة الجمهور ... ونحن لا نجادل فى أن الجمهور يريد ، فما لا شك فيه أن للناس غرائز حيوانية ، وأنهم يستلذون كل ما يحرك هذه الغرائز ويلبيها ، وأن هناك أناسا مقبوحين منبوذين من المجتمع كل عملهم هو تلبية هذه الغرائز ، وأعمالهم هذه رائجة ورابحة ، ولكن الرواج لا يقوم عذرا لهم أمام السلطات التى تحاربهم وتسد عليهم الطريق . أفيرضى رجال الفن والأدب والصحافة أن تروج أعمالهم على طريقة أولئك المنبوذين من المجتمع الرابحين فى عالم النقود ؟!

إن الرواج ممكن ، ولكن عن طريق آخر — طريق جذب خيط الصعود — فى نفوس الجماهير ، وهذا يكلف مجهودا أشق ولا شك ، ولكنه هو اللائق بكرامة الفن والصحافة ، بل بكرامة الانسان الذى تتهيأ نفسه فى كل لحظة للهبوط أو للصعود حسب الدعوة التى توجه اليه من الداعين . وتلك هى المهارة الصحفية أو الفنية التى تستحق هذا الاسم .

وقد تسألهم فى ذلك فيجيبون بأننا نصور الواقع ، فالرذيلة موجودة فى المجتمع المصرى ، وما يزيد عملنا على كشفها والتنبيه اليها ! ونحن لا نجادل فى أن هناك رذيلة واقعة ، فما لا شك فيه أننا نمر بفترة انحلال خلق ، ولكن إشاعة هذه الرذيلة والتعريف بها لا يقصر أمد هذه الفترة بل يطيل فيه .

والذى يحدث نتيجة لعرض الفضائح العائلية والنزوات الغريزية فى الأدب والصحافة والأفلام والأغانى ؛ هو التمهيد لها فى النفوس ، وتقليل بشاعتها بحكم التكرار ، وإعطاء المثل للواقفين والواقفات على الحافة ، وتسهيل وسائل السقوط والتعريف بها .

خذ مثلا لذلك نشر الصور العارية على البلاج بحجة أنها عارية على البلاج ! إن الذى كان واقعا هو أن مائة امرأة مثلا تراهن ألف عين على الشاطئ ، قبل نشر صورهن ، فأما حين تنشر فإن عشرين ألف عين على الأقل تتطلع الى هذه الأجساد ، وتتحرك غرائزها المخنوقة ، وتسبح فى خيالات اليقظة وهى شر الخيالات !

وذلك فضلا عن الحقيقة النفسية الواقعة ، وهى أن رؤية الجسم العارى على الشاطئ لا تثير من الغرائز ما تثيره الصورة المنشورة فى صحيفة إذ أن الخيال فى الحالة الأولى لا ينشط لأن العين تغنيه عن النشاط أما فى الحالة الثانية فالخيال ينشط ليتصور الواقع ، وفى أثناء هذا النشاط تتحرك أحط نوازع البهيم الكامنة فى كل إنسان !

ومثل هذا الشر وأكثر يقع كلما ارتفعت تأوهات مطربة وشهقاتها فى الراديو ، وهناك آلاف الآذان تتخيل الحركات والأوضاع من وراء الميكروفون ، وأحط من ذلك ما يقع عندما يتميع مطرب ويتدغدغ وهو يرسل بنبرات ونغمات يخجل منها " الرجل " فى كل حال !

و إذا استطعنا أن نغتفر بعض هذا للمطربات والمطربين ، فلن نستطيع أن نغفر لبعض الأقلام الارتكاس الى هذه الحمأة التى يرتكس فيها بعض الكتاب و بعض الشعراء لينالوا الشهرة والرواج . إن بعض الروايات و بعض الدواوين ، صندوق قاذورات غريزية ، ومسيل وحل جنسى ، لا أقل ولا أكثر . وهم يسمونه أدبا وفنا وشعرا بلا خجل ولا حياء !

* * *

ليس على الفن إذن أن يخضع لضرورات العيش وصراع الطبقات ، ولكن ليس له كذلك أن يهبط الى تمليق الغرائز و إثارة الشهوات . وليس الفن متعطلا لا وظيفة له فى الحياة ولكن ليس من وظائفه كذلك أن يرتكس الى مقاذر الحياة !

إن وظيفة الفن الخالدة ، هى الإشعاع ، الإشعاع الذى يكشف عما فى الكون من جمال مشهود ، وعما فى الغيب من جمال موعود ؛ وهى تعميق الحياة وتوسيعها ووصلها بالخلود ؛ وهى الارتفاع عن الضرورات تلبية للرغبة الانسانية فى الانطلاق .

وهو بهذا يحفز الى ترقية الحياة . ترقيتها بالتطلع و بالتسامى و بالتضحية بكل متاع الحياة ، بل بالحياة نفسها عند الاقتضاء .

وليس معنى هذا أن يقوم الفن مقام الوعاظ والخطباء ، فإن له طرائقه ومداخله فى النفوس ، هذه الطرائق التى ليس منها التوجيه المباشر على سنة الوعاظ !

و إن للفن وللصحافة لواجبا مشتركا يؤديه كل منهما على طريقته الخاصة . ولكن لايدخل فى هذه الطريقة تمليق الغرائز وتلبية الرغائب ، فإن هناك خيطا آخر فى النفس الانسانية يؤدى الى النجاح والرواج .

سيد قطب

علاج الفراغ عند المراهقين

كما يصوره معرض فنى

للاستاذ صلاح الدين الشريف

لا جرم أن جماعة المراهقين من الشباب ، إذا أصابت التوجيه السليم ووفقت إلى القدوة الطيبة أجادت القيام باعباء التحصيل العلمى أولا ، وأحسنت الانتفاع بأوقات الفراغ ثانيا ثم تهيأ لها من بعد أن تجيد رسم ما تهدف اليه من مثل فى هذه الحياة .

هذا حكم انتهيت الى الجزم به على أثر فراغى من مشاهدة معرض فنى أقامته كلية للشباب فى مدينة حلوان ، وتجلت فيه للزائرين من الأساتذة والآباء ، ألوان من عبقرية الجهد المشترك والتعاون الخيّر ، يقوم بهما الأبناء فى أوقات فراغ كانوا يهدرونها حتى عهد قريب ، على غير ما طائل ، فى أهليات تافهة للشباب ، وسط مدينة جامدة صامتة ، حتى جاءهم هذا التوجيه الاجتماعى ليهديهم الى طريق تزجيتها فى أفانين من السلويات والهوايات دلل المربون على صدق أثرها فى تفتيح المواهب والملكات فى باكر الأعمار .

والواقع أن حاسة النشاط الاجتماعى المتضامن ، لا يستشعر خطرها فى بعث دوافع الحياة فى النفس إلا القليلون ، وأقل من هؤلاء من يهتدى إلى رسم مناهج هـذا النشاط ليجرى فى شعابه ويهدف الى غاياته ، وليخلّص من ثم فترة المراهقة ، التى تمتد حتى الخامسة والعشرين ، من شوائبها ومنكراتها ، فيخرج منها المراهقون سليمى القوى مفتحى الملكات ، طامحين فى نزعاتهم الشابة إلى أجمل مثل الحياة .

فلو أتيح لنا أن نهتدى الى هؤلاء الرواد " المجهولين " وسط أثباج من صحراء الحياة ، وأن نراهم قائمين بأدوارهم المرهقة فى تخطيط معالم الطريق نحو مستقبل حافل لأجيال الشباب فحتم أن يكون لهم علينا حق الاشادة والتنويه بمخدماتهم لإخوانهم فى الوطن ، لنبعث فى نفوسهم العاملة صدق الإيمان بقداسة الجهاد فى سبيل صياغة النماذج الكاملة التى نأملها لشبابنا المصرى من أبناء الجيل الحاضر بل وأبناء الأجيال القادمة .

وليس كمجلة الشؤون الاجتماعية سجل واف لإحصاء صور النشاط الاجتماعى فى مختلف مفارق الحياة ، واستخلاص دلائل العبرة من مجالى هذا النشاط ، ثم إبراز تلك الصور الاجتماعية على وضع يجعلها بمثابة الأقباس التى تحفز ذوى الغيرة فى الانتاج الى استهدائها فى شتى مناحى الخدمة الاجتماعية ، وهى المرفق الجديد الذى تستند اليه وزارة الشؤون ، لبعث رواقد الحياة فى المجتمع المصرى ، فى هذه الأيام .

تألقت هـذه الجماعة منذ عهد قريب فى مدينة حلوان . ولعل جو هذه المدينـة الفاتر وروحها الخابية ، أثرا مباشرا فى إحداث رد فعل من النشاط الاجتماعى تجلى فى تسابق أبنائها

الى تكوين الجماعات والأندية بين ربوعها ، لتستنقذ الشباب من حياة جامدة وعيشة مملولة تجرى على وتيرة واحدة ، ولتوجههم الى ألوان من النشاط الاجتماعى يقوم على هوايات رياضية وساويات يدوية وذهنية ومطالعات ثقافية ، فى شتى الفنون القريبة الى أعمارهم وأذهانهم والوثيقة الصلة بمحيط حياتهم ، يطاردون بها الملالة والجمود ، و يقطعون بها رتابة الحياة التى تسقم الفكر والبدن .

و يظهر أن هذه الجماعة قد اقتبست من الروح الاغريقى القديم دستور نشاطها الاجتماعى كله . فهى بجانب عنايتها التامة بالتدريب البدنى لأخذ الشباب بالثقافة الرياضية على أحدث أساليب العصر ومناهجه ، لا تنى تأخذ أعضاءها ورواداها بألوان من التدريب العقلى عن طريق المحاضرات من ناحية ، ثم تشجيع الاطلاع والقراءة من ناحية أخرى .

ولقد تشققت روح النشاط عندهم الى أفانين من الهوايات والسلويات الراقية ، كانت للنزعة الرياضية والطابع الثقافى أثر فى اتقانها وتفتيح الملكات عليها . فالصبر وضبط النفس اللذان يتجليان فيما عليه تحف المعرض من اتقان رائع فى الصناعة ودقة بالغة فى رسم الأوضاع وتأليف الأجزاء وتصوير المشاهد ، ثم ذلك الافتنان والابتكار اللذان يطالعان جمهور المشاهدين من كل جانب من جوانب المعرض ، بل إن ذلك الجو الفنى الرائع الذى يغمر الزوار من الآباء المفتتنين بمعروضات أبنائهم ومبتكراتهم ، لأدلة ناطقة على تغلغل الروح الرياضى والثقافى معا فى نفوس أبناء هذه الكتلة العاملة .

والواقع أن هذا المعرض لم يقم إلا على جهود هؤلاء الشبان الذين تتراوح أعمارهم بين العاشرة والخامسة والعشرين ، ولم تتم معروضاته إلا فى أوقات الفراغ التى يصيبونها بعد شواغل الحياة اليومية . والعجيب فى أمرهم أنهم لم يستعينوا فى صناعتها على مواد خارجية كثيرة ، ترهقهم أثمانها ، ولا سيما أن جمهرتهم من ذوى الدخل المحدود ، بل الطريف فى الأمر أن تصاغ هذه المبتكرات وتلك التحف من مهملات منزلية تفيض على الحاجة ، وكان مآلها بالطبع الى صناديق القمامة أو أكوام المهملات خارج المدينة ، لولا أن تفتقت أذهانهم الفتية ، بوحى من ارشاد اجتماعى سليم ، الى استخدام هذه المتروكات فى صناعة التحف والنماذج والهدايا والأدوات المنزلية والمكتبية ولعب الأطفال ولوازم الزينة للنساء وغير ذلك من أوجه استعمال لا تحصى ، ثم تجليتها فى نماذج تنطق بالابتكار والطرافة ، وتدل على نمو مبكر فى حاسة الذوق السليم وطابع الثقافة العملية المتقنة .

ولعل هنالك معنى اجتماعيا أعمق دلالة على هذا الجهد الكبير ، وأصدق حكما على موطن العبرة فى أمره ، وأعنى به معنى التضامن الاجتماعى والمشاركة الوجدانية فى العمل والمعاونة الثقافية والتطبيقية فى تحقيق غايات هذا المعرض وتنظيم معروضاته بصورة تجتذب التشجيع والاقبال وتبعث على المسارعة الى مكافأة صناعها بجائزتها واقتنائها والتوصية الملحفة على إخراج امثالها !

لقد بدأت هـذه الفكرة عند الكتلة ساذجة ، شأن أى فكرة اجتماعية أخرى ، ثم نمت عندها روح التعاون فى هذه الناحية ، نموها فى مختلف نواحيها الأخرى ، حتى حمل الأمر رئيسها ومجلس إدارتها على إفراد غرفة للهواة ، يقومون فيهـا بأعمالهم اليدوية من مخلفات المنازل ومهملات البيوت التى لا حاجة لأهليهم بها !

وهكذا نمت روح الإنتاج الفنى الذى تدرج فى دقته وطرافته وتعدد نماذجه مع الاستعانة ببعض المجلات الأجنبية الخاصة بالفنون اليدوية التطبيقية بازدياد الأيدى الهاوية وتكاثر المواد الأولية المهملة ونمو فكرة التعاون بين الجميع ، و إقبال ذوى الأسنان المختلفة على ممارسة الأفانين الصناعية المختلفة من نشر بالمنشار ونحت بالأزميل وحفر بالحافرة وتوشية بفراجين الصباغة ، إلى تصميم الأوضاع الهندسية التى تناهت فى الابتكار والطرافة ، إلى كثير من هذه الأعمـال اليدوية التى تتعاون على إكمالها الملكات المختلفة وتقوم بالمشاركة فى النهوض بعبئها أعمار وعقليات متفاوتة ! !

ولا بأس من أن نلم فى عرض مجمل بصور المعرض ومشاهده .

راعى أعضاء الكتلة أن تكون الفكرة الأساسية التى يقوم عليهـا مشروع التصميمات وثيقة الاتصال بالانتفاع المنزلى المعتاد حتى تلبى حاجات ضرورية وكمالية معا لا يستغنى عنها المرء فى حياته اليومية .

ففى قسم الأدوات المنزلية ذات الاستعمال اليومى المعتاد ، لوحظ فى تصميم نماذجها أن تكون بسيطة غير معقدة مع وفائها بالأغراض المقصودة من انشائها .

فهناك مثلا علب الروائح العطرية والسجاير والحلوى ومحـافظ أشغال الإبرة للسيدات فضلا عن الأوانى الخشبية التى تنفع فى حفظ مواد الطهى فى مطبخ المنزل . وقد وضعت على أشكال وحجوم مختلفة روعى فيها سهولة تنظيفها وتناسب أحجامها والغرض المنوطة بها تأديته .

وهناك أيضا نمـاذج أخرى مبتكرة للحقائب الخشبية التى تستعمل فى حفظ الجوارب والمناديل ، وأخرى من قماش متين ، من فضلات الأقمشة المنزلية ، ضمت أطرافه الى عوارض خشبية تحمل مقبض الحقيبة ، وهى تستخدم فى شراء حاجيات الطهى من الأسواق ولوازم التموين الأخرى التى يحتاج إليها المنزل ، فضلا عن مجموعة رائعة من "قبعات" المصابيح الكهربائية .

أما الأدوات المكتبية من حاملات المحابر والأقلام ، إلى حاملات الكتب ، الى حوافظ الأوراق الى كثير من أمثـال ذلك ، فقد دلت نماذجها الجميلة على براعة فذة فى الابتكار والصياغة عند هؤلاء الشبان .

وثمة قسم معروضات الأطفال ، الذى حفل باللعب الخشبية المختلفة الأشكال والأحجام . وقد روعى تلوينها بالألوان الزاهيـة والرسوم المستملحة التى تدخل السرور على الاطفال ، وتجتذب حواس التطلع والكشف عندهم ، وهذا قد كان وقفا على الأجانب حتى عهد قريب .

ولقد راعى الهواة أن يبنوا نماذج هـذه اللعب على أفكار سيكولوجية طريفة لها أثرها الإيحائى فى طبع نفوس الأطفال على جماع المعـانى الكريمة . فهم قـد خصصوا مثلا قسما من المعرض ، نسقوا فيه من هـذه اللعب مشهدا حربيا رائعا كان مسرحه قطعة مصورة من الشاطئ المصرى بميادة وكثبان رماله ، تحفـل بره بالطيارات الجاثمة فى مرابضها والدبابات الزاحفة على مرتفعـات الأرض والمدافع المصوبة الى أهدافها ؛ كما عج بحره اللجى بالبوارج والطرادات وغيرها من سفن الحرب ؛ وكلها قد حمل العلم المصرى الأخضر الخفـاق ؛ ووزعت الوحدات المختلفة بنظام " ستراتيجى " قصـد به معنى حماية شواطئ الوطن وأراضيه ، وبذلك أكد ماتنطوى عليه قلوب الشباب من معانى الدفاع لا معانى الاعتداء .

فلعمرى أى مشهد يستطيع أن يهز أوتار الطفولة ، بل الرجولة ؛ من جمهرة الزوار ، ويثير فى نفوس الصغـار وهم نشء المستقبل أحر مشاعر الحماسة الوطنيـة ، أقوى وأروع من هذا المشهد ! الحق لقد وفق الهواة فيه ، وهم بعد فتية أحداث ، توفيقا بعيدا ، حتى جاء دليلا على ما يخالج نفوسهم من روح وطنى يكنونه فى حبات القلوب نحو بلادهم المفداة .

وثمة جانب آخر من معرض هذه اللعب له أثر إيحائى سلمى ، فتحمل نماذجه كثيرا من المعانى العمرانية الطيبـة . ففيه نمـاذج سـعاة البريد والسيارات المـدنية والقطر الخشبية والمراكب الشراعية والبيوت الأنيقة الخ ... وبعد ، فيقول علماء التربية إن التعليم فى سويسرا وصل إلى مرتبة الكمال ، وإن معاهد العلم السويسرية هى نماذج تحتذيها معاهد العلم فى كثير من بلدان العالم المتمدين . ولقد بنوا حكمهم هذا على حقيقة بارزة ، هى أن هذه المعاهد تعد برامجها وألوان نشاطها لتكون قطعة نابضة من الحياة ؛ فالعلم سواء عند الأطفال أو الكبار ، يجب أن يكون — فى رأى السويسريين — تجربة قبـل أن يكون اطلاعا فى كتب ؛ وليس ثمة عامل كالفنون والهوايات فى ابتعاث رواقد الملكات فى النشء وتوجيهه توجيها سليما إلى ايضاح ميوله منذ بواكر الأعمار ، حتى لقد أضحت هـذه المعاهد بمثابة " ورش " ومعامل ، قبل أن تكون مكتبات ومدرجات .

إن مبدأ المجددين فى علم التربية ، يذهب إلى ألا يكون هناك أسلوب موضوع يسير المربى وفق قواعده ، بل عليه أن يمشى كامل الحرية مع وحى اللحظة ويدع طلابه يتعلمون عن طريق ما يعملون ، وما يفضلون من هوايات ، وما يجدون من تجارب واختبارات .

ونحن بدورنا فى حاجة إلى هذا المنطق التربيى الجديد ، فإن كانت برامج الدراسة الموضوعة ماتزال عاجزة عن تحقيق هذا النشاط العملى المحمود ، فما أحرانا أن نشجع أمثال هذه الجماعات التى أتينا على وصف خدماتها للنشء فى ميدان الإعداد الاجتماعى السليم .

صلاح الدين الشريف

جرائم الآباء

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

عنّ لى أن أتناول ببحثى اليوم ، موضوع بعض جرائم الآباء فى حقوق أبنائهم ، هـذا الموضوع الجوهرى الحساس ، مدفوعة الى كتابتـه بالكثير من الوقائع الحقيقية الأليمة التى قدّر لى أن أشـاهد بعضها على مسرح الحياة ، وأن ألم بالبعض الآخر من القصص الدامية التى تسوقها لنا الأقدار كل يوم ، فتملأ مسامعنا بمآسى الكثير من الأطفال التعساء ، الذين قدّر لهم أن يكونوا أبناء لآباء غير أكفاء ، فتحملوا تحت ستار أبوتهم الكاذبة كل ظلم و إجحاف .

وما مقالتى هـذه فى الواقع إلا نفثة لهؤلاء الأطفال المناكيد ، ضحايا قضايا الطلاق ، نفثة هى صدى لصيحاتهم المكتومة ، وزفراتهم المحتبسة ، عسى أن يكون لهـا فى نفوسهم المزقة بعض السلوى ، وفى حياتهم المظلمة قبس من الضياء .

وبمـا أنى قد تكلمت كثيرا فى موضوعات سابقة عن مشاكل الطلاق وتعدد الزوجات ؛ فإن موضوعى اليوم سيكون مقصورا على عرض نتائج استهتار الآباء بالعلاقة الزوجية ، وما فى ذلك من جناية على أبنائهم ، وعلى المجتمع بهم .

ومـما لا ريب فيـه أن أمثال هؤلاء الآباء ، ليس لهم وجود تقريبا إلا فى مجتمعنـا المصرى ، حيث يعتبر الزواج والطلاق أسهل بكثير من شراء ثوب جديد ، هذا فقط ، حيث تنتشر فوضى التلاعب بروابط الأسرة ، تكثر مخازى الآباء وتنتشر جرائمهم فى حقوق أبنائهم الذين هم بناة المجتمع الجديد .

و إنه لمن المخجل حقا أن نرى بين ظهرانينا أمثـال هؤلاء الرجال ، الذين لا يستنكفون من العبث بالشرائع سعيا وراء أهوائهم وأنانيتهم ، متناسين أطفالهم النعساء ، ولا يضيرهم

أو يخجلهم أن يدفعوا كل يوم الى المجتمع بأبناء جدد يضيفونهم الى سجل التعاسة والبؤس ، ولا يهمهم إلا ما تصوره لهم عقولهم الخاوية من سعادة مرتقبة فى كل زواج جديد ، فيتخبطون فى طرقاتهم دافعين أمامهم أطفالا أبرياء الى مستقبل مظلم مجهول ، لا يذوقون فيه إلا العلقم ، ولا يتقلبون الا على فراش من الألم والدموع .

ومع ذلك فالرواية ما زالت تمثل كل يوم مرات ، والمسرح عامر أبدا بالضحايا ، يتطلع الى المزيد ...

هؤلاء الضحايا الذين لا يشعر بهم آباؤهم إلا بعد أن يصطدموا بمشكلة النفقة ، و بعد أن يضطروا للوقوف أمام المحاكم حيث يتراءى للملأ ما خفى من أخلاقهم وحيث يتناقل الجميع قصص مخازيهم وفضائحهم ... ... عندئذ فقط يتنبهون للحقيقة ، لا ليكفروا عن أخطائهم ، بل لينتقموا من أطفالهم التعساء بانتزاعهم من بين أحضان أمهاتهم لضمهم إلى جناح الخدم فى منزل الزوجة الجديدة .

هذه ظاهرة مؤلمة ، ولكنها مع الأسف حقيقية تحدث فى مجتمعنا كل يوم ، وليس منا من لم ير أو يسمع شيئا عن قسوة امرأة الأب وعنتها ، وما يصيب من يلقيهم القدر بين يديها من أبناء الزوج ، وليس منا من يجهل كيف تتفنن فى صنوف العذاب لهم وكأن بينها و بينهم عداوة خالدة لا تزيلها الأيام . ولا غرو فى ذلك فهى تعتقد أن أبناء الزوجة الأولى هم أداة الثأر لها من منافستها على حد ظنونها الخاطئة .

و إنى لأسوق لكم هنا قصة صغيرة جقيقية لمستها بذاتى ، ولم يزل لها فى نفسى جرح أليم ،

هذه القصة لأب مزواج ، جعل من الزواج والطلاق هوايته المفضلة ، وجعل لكل زوجة مطلقة عنده طفلة أو طفلين .

و إنه لمن سوء الحظ طبعا أن تكون للانسان قرابة ولو بعيدة بأمثال هذا الرجل ، وأن تضطره الظروف السيئة طبعا إلى زيارة عائلته ، ولكن الحقيقة مع الأسف أننى فعلت ذلك ، وقضيتها ثلاثة أيام ؛ رأيت فيها من المآسى ما يمزق القلوب ، ومع ذلك فهى مآس مستترة لا تتعدى جدران المنزل .

لذلك الرجل جملة أبنـاء جمعتهم فى منزله الجـديد واستعاض بهم عن الخدم . فكبراهم شابة أوشكت أن تودع العقـد الثالث من عمرها ، جميلة رغم شدة تحولها وشحوبها ، قـد جعـل منها ظلم الأيام شبحا ساريا ، فاذا مشت فهى تتمـايل على نفسها من فرط الإعياء ، وإذا تكلمت فلتخرج كلمات مضطربة خائفة ، وهذه هى الخادمة الأولى فى المنزل ، عليها القيام بجميع شؤونه ومسئولياته ، من طبخ وغسل ومسح أرض وغسل أوانى المطبخ ، ومكانها المختار الانزواء فى ركن المطبخ طول اليوم ، وعدم الظهور أمام الضيوف .

وناهيك اذا جرؤت المسكينة يوما على الادعاء أمام أحد بأن هذا البك المحترم هو والدها ، فحدث ولا حرج عما يصيبها من أنواع الايذاء وما ينالها من الإهانات والقسوة .

وللزوجة فى ذلك عذر عجيب ، وهو أنها لا تود أن يعلم انسان بأن زوجها قد تزوج من قبلها ، حرصا على مركز عائلتها الكبيرة .

أما باقى الأطفال ، الذكور منهم والإناث ، فمكانهم فى (قـلة) أبيهم غرفة السـطح العارية ... يظلون بها دائمـا انتظارا لعمود أختهم ، ولا يغادرونها إلا إذا احتاجت الهـانم ربة البيت الى شىء هام ، أو وقت شراء الخضراوات ولوازم المنزل ، أو لخدمة الضيوف دون النفوه بكلمة غير (نعم وحاضر) وجميعهم مثال البؤس والمرض ، لم يترك السعال الحاد صدر أحدهم إلا وحالفه .

واذا كنت جريئا وأمكنك أن تتحدث عن ضرورة التحاقهم ببعض المدارس احتراما لمكانة أبيهم ، فاجأتك الزوجة بأنها لا تستطيع أن تقوم بالمصاريف المدرسية لهـذا الجيش من الصعاليك وتحرم أبناءها — وأبناء البك طبعا — من التربية العالية التى تتفق ومكانة عائلتها الاجتماعية .

وكأن حرمان هؤلاء التعساء من منازل أمهاتهم ورعايتهن قد حرمهم أيضا من التمتع لا بمال أبيهم وعنايته فحسب ، بل من الانتساب أيضا الى أبوته .

ولا يمكنك طبعا مهما كنت كريما أن تفكر فى إبداء أى نوع من أنواع العطف لهؤلاء التعساء ، لأن ذلك على حد قول الزوجة يجعلهم يتمردون عليها و يعتقدون أنهم مساوون فى المكانة لأبنائها المفضلين .

فقد حدث أمامي بهذه المناسبة أن ابنة الزوجة كانت تلعب بإحدى الدمى فسقطت منها على الأرض وكانت صغرى أبناء الزوج على مقربة منها لقضاء بعض الحوائج فسارعت لالتقاطها لها، وبما أنها كانت هي الأخرى طفلة ساذجة فقد أبقتها قليلا بين يديها وفي عينيها تمن وأسف ، وعندئذ انقضت ابنة الزوجة عليها واختطفتها منها وهي تقول (إنت يابنت ياخدامة عايزه تلعبي بعروستي)، وضحكت الأم للنكتة البارعة وتأملت أنا، ولكنني مع ذلك صمت إذ لم يكن لي من الصمت بد وقتذاك .

و إنني لو أردت الإطالة في هذا الأمر لذكرت عجبا، ولو نوهت بكل ملاحظاتي عنه لما عبرت عن بعض ما جال في نفسي من عبارات الاشمئزاز والاستنكار .

هذه هي بعض أنواع المعاملة التي يلقاها أبناء الطلاق، ففي محيط ذلك الجحيم يشبون ، فإما أن تنتهي حياتهم بين هاتيه الظلمات، و إما أن يثقل كاهلهم الظلم فيفرون الى المجتمع. مأوى الجميع، فيكونون فيه نواة فاسدة ، تخر في جنباته وتبشره بجيل فاتر وضيع ، جيل يتفشى فيه الإجرام ، وتهون أمام أبنائه كافة سبل العيش مهما انحدرت الى الجريمة .

ومن هنا يتضح لنا كيف يسيء الرجل المزواج الى المجتمع ، وكيف يعتبر مجرما أمام محكمة الانسانية ، يستحق أشد أنواع الاضطهاد والاحتقار .

و إني أرى مما تقدم أن مجرد سلب السلطة الأبوية الذي تهتم به وزارة الشؤون الاجتماعية من أمثال هؤلاء الآباء أقل مما يجب من أولى الأمر حيالهم ، لأن أطفالهم الأبرياء يتطلعون إلى من يدافع عن مستقبلهم الضائع بحرمان المجتمع من فائدتهم، وهذا لا يتأتى إلا إذا سنت القوانين الشديدة لحمايتهم من شرور آبائهم ، تلك القوانين التي تضرب بيد من حديد ، فتحد من عبث أولئك المستهترين من الرجال حتى تتفتح عيونهم على حقائق مهازلهم واستهتارهم ، لأن سلب السلطة الأبوية منهم سيكون غالبا بعد ما يبلغ الأطفال مبلغ الفهم والادراك ، حيث يكون هؤلاء الآباء قد نجحوا في رسم مستقبل أبنائهم كما شاء لهم هواهم. ولذا فان سلب سلطتهم الأبوية في ذلك الوقت لن يغير من الأمر الواقع شيئا . وفائدته لها أثر عظيم إذا كان الأمر معكوسا فقط، أي إذا كانت الأم هي التي قامت بتربية طفلها على نفقتها ورسمت له مستقبلا مكنه من شق طريقه في الحياة فأصبح نافعا لذاته وللمجتمع . عندئذ فقط حيث

لا يكون هناك أى حق للآباء على أبنائهم ؛ تظهر جيدا نتيجة سلب السلطة الأبوية منهم ، فإنه كثيرا ما يحدث أن نرى أبا ليس له حق فى الأبوة إلا اسمها ، كثيرا ما نراه يقف فى طريق أبنائه ، إذا فتح الله عليهم بمستقبل حسن ، مستغلا لفظ الأبوة فى سلب أموالهم ، وقد تبلغ به الجرأة أحيانا الى حق مقاضاتهم وذلك اذا ما سدّت فى وجهه أبواب الرزق وانتقم الله لأبنائه الضعفاء .

وخير ما يمكن عمله حدّا لتلك الجرائم المتواصلة هو سن قانون يحرم على الآباء ضم أبنائهم اليهم إذا كانوا متزوجين من غير أمهاتهم على أن يلزموا بنفقاتهم حتى يبلغوا سنا تؤهلهم للكسب ، وتقطع هذه النفقة إذا تزوجت الأم ، ودنا أيضا لا يسمح للرجل المتزوج بضم أبنائه ، لأن زوج الأم مهما كان قاسيا فلن يبلغ فى هذا المضمار بعضا من طغيان زوجة الأب .

وإنه لمن المفروض طبعا ألا يسىء زوج الأم إلى أطفال المرأة التى أحبها وارتضاها زوجا له ، وإننا إذا أحصينا مآثر أزواج الأمهات على غير أبنائهم لما استطعنا لها حصرا ، ولوجدنا أنه خير للطفل أن يظل فى حضانة أمه المتزوجة على أن يكون مع أبيه المتزوج ، وقد يتهمنى هنا بعض الرجال بالتحيز إلى بنات جنسى ، ومع ذلك فإننى أترك لضمائرهم الحكم الصحيح فى هذا الأمر ، مع ثقتى وإيمانى بأننى قد نحوت فى مثالى هذا نحوا إنسانيا للصالح العام بعيدا عن التطرف والمغالاة ، نحوا هو أمنية تتردد فى قلوب الكثير من الناس ممن يميزون الحق ساطعا من بين الظلمات .

أما كان الأطفال ممن وسمهم القدر بميسم الشقاء ، ففقدوا أمهاتهم ، ولم يكن لهم بد من الالتجاء إلى حجيم زوجة أبيهم ، فليس هناك كما أرى سوى حل واحد ، وهو أن يضمن أولو الأمر ما يكفل لهم شق مستقبلهم فى الحياة على نحو تفيد منه الانسانية ويرقى المجتمع ، وذلك بتكوين هيئة حكومية اجتماعية ، تكون مهمتها بحث حالات من يتقدم إليها ممن فاض بهم الألم وطفح الكيل من عسف أبيهم وجور زوجته ، حتى يمكننا أن نرغم هؤلاء الآباء غير الأكفاء على العناية بمستقبل أبنائهم ، وبذلك نصون الجيل الجديد من عبث الاستهتار بالشرائع ، ونرقى بمستواه كما نتمنى أن نراه .

وأحسبنى فى هذا المقال قد أديت رجاء لنفوس كسيرة ذاقت من جرائم الآباء ما ذاقت ، وقاست من ظلم الأقدار ما قاست .

ولست أشك فى أن هذه الكلمة ستجد من أولى الأمر اهتماما سيذكره المجتمع مابقى ، وسيدونها لهم الدهر بحروف نورانية بارزة .

زينب محمد حسين

الحياة عادة

نلاحظ أن الذى يعتاد أن يتناول فى ميعاد معين قدحا من القهوة أو كوبا من الشاى أو غيرهما من المنبهات أو المخدرات مدة من الزمن لا يستطيع أن يؤدى عمله ولا أن يسلك السلوك الطبيعى فى حياته إذا لم يتناول ما اعتاد أن يتناوله فى ميعاده المعين ، وربما كان قد تناول هذه الأشياء فى أول الأمر على سبيل التسلية أو الترويح أو التقليد ، غير مصدق أنها ستصبح عادة له تتحكم فيه ، وتخل بنظام حياته الطبيعية إذا لم يخضع لحكمها !

وعادة المخدرات أو المنبهات هى التى تبدو لنا واضحة كمثل للعادة المتحكمة ، ولكن الواقع أن الحياة كلها عادة كبيرة بجميع ما فيها من الصغائر والكبائر ، وأن الفارق بين فرد وفرد أو بين شعب وشعب ، إنما هو مجموعة عادات تختلف فى هذا عن ذاك ، فتكون شخصية للفرد أو للشعب تختلف عن شخصية سواه .

والفرق بين الإنسان المهذب الراقى ، والإنسان الجلف المتخلف ، هو مجموعة عادات فى الحركة والكلام ومخارج الصوت والنظرة والإشارة وطريقة الأكل والشرب واللبس والجلوس والضحك . . . الى آخر الحركات اليومية التى يؤديها الانسان بحكم العادة وبدون انتباه فى غالب الأحيان .

وحقيقة أن هذه مظاهر خارجية ولكن لها دلالتها على الحقائق الباطنة فى النفس الإنسانية فهى تصدر عفوا بلا تفكير ولا تدبير فتدل على المعدن الأصيل لهذه النفس ، وقد يتناولها التكلف فيدل هذا التكلف نفسه على فقر النفس فى هذه الصفات المتكلفة وعلى أنها حديثة عهد بها ، ولكن هذا لا ينفى أنها حينما تزاول مدة كافية تصبح طبيعية ، وتترك آثارها فى الحياة الباطنة ، وتؤدى إلى التهذيب الحقيق بعد مدة طويلة أو قصيرة .

وقد قلنا إن عادة المخدرات والمنبهات وأمثالها ليست هى العادة المتحكمة الوحيدة ، وأن الحياة كلها مجموعة عادات . وهذا يلفت نظرنا الى وجوب الحرص على تكوين عادات صالحة لأولادنا ولأنفسنا منذ بدء الحياة ، فمعظم العادات يتكون فى سن مبكرة وعن طريق القدوة والتكرار فى وقت لم يتنبه فيه العقل ليوازن بين الصالح والفاسد منها ، أى أن معظم العادات يغزونا ونحن على غير استعداد فيترك فى حياتنا أثرا دائما لا حيلة لنا فيه ، أو يحتاج منا فى مقاومته حين نتنبه لخطره إلى مقاومة عنيفة قد نفلح فى نهايتها أو لا نفلح حسب تمكن العادة ومقدار ما فينا من قوة الإرادة (التى هى الأخرى عادة من العادات تربى وتنمى كثيرها من عاداتنا الكثيرة) .

وكلنا رأى بعض الناس الذين يلبسون ملابس وجيهة ويركبون السيارات فى بعض الأحيان . ثم يأتون مع ذلك بحركات قذرة سخيفة كالبصق على الأرض وفى جيوبهم المناديل أو وضع الاصبع فى الأنف ، أو التجشؤ بصوت مسموع فى وجوده الجالسين ، أو الضحك بطريقة خارجة ، أو التحدث بنغمة خاصة ، أو التفوه بالفاظ وتعبيرات وقحة . الى آخر أمثال هذه البسائط المؤذية التى لاتترك مجالا للشك فى البيئة الأولى التى نشأ فيها أمثال هؤلاء الوجهاء المزيفين وراء المظاهر ، والتى تدعو لسقوط كرامتهم مهما كانت هذه المظاهر !

وقد لا تصل العادات السيئة الى هذا المستوى من الانحطاط ولكنها تظهر مثلا فى عدم ضبط نبرات الصوت حسب المناسبات فى الحديث ، أو عدم مراعاة الأدب اللائق فى المخاطبة والرد بالإصغاء الى المتحدث وإفساح المجال لرأيه ما دام معقولا ومناقشته فى حدود الموضوع المعروض . . . وقد يبدو أن ليس للعادة أثر هنا ، ولكن الواقع أن هذه التصرفات مبنية على العادة المستقاة من القدوة فى البيئة التى ينشأ فيها الإنسان ، ويلتقط عاداتها بدون انتباه .

بعض الناس يلقاك فى الطريق فيسلم عليك كأنه يصارعك ، أو يلمحك ، من بعد فلا يستنكف أن يزعق عليك كالمصروع ، أو يحدثك فى مسائل خاصة بصوت كصوت الشجار غير ملق باله الى الركاب أو الجلاس من حولكما ، أو يمد يده ليتناول قلمك من جيبك ليكتب أو سيجارتك من يدك ليشعل سيجارته بكل بساطة ! ! ! فما الذى يحملهم على مثل هذه التصرفات ؟ إنها العادة بلا جدال .

وهذا الرجل الذى يغربل فى مشيته وهذه السيدة التى تتخلع فى سيرها ، وهذا الشاب المنحنى القامة ، وهذا الصبى الذى يظلع اذا سار . . . ثم هذا الذى يتحدث فيمضغ الكلمات ويخطف الحروف ، وهذه التى تقذف من فيها بالكلمات كالمدفع الرشاش . . . أو ذلك الذى يتفتف على وجهك لأنه يحدثك أو يزغدك عدة مرات لأنه يسترعى انتباهك ، أو يضع فمه على أذنك لأنه يسر إليك بالحديث وهو يرفع صوته فيسمع الجيران . . الخ . هؤلاء جميعا ما شأنهم ؟ انهم لم يجدوا من يقوم خطواتهم أو يهذب حديثهم ، أو يعودهم العادات الصحية والآداب المرعية ، فى مثل هذه التصرفات اليومية .

وهذه الأمثلة المبسطة تلفت نظرنا الى أثر العادات الصغيرة فى حياة الإنسان ومركزه وحكم الناس عليه ، فإذا ارتقينا منها الى ما هو أكبر منها وضح لنا هذا الأثر بارزا ملموسا ، ونحن نختار بضع طوائف من هذه العادات المتحكمة .

فالعادات الصحية كالنظافة والرياضة ، والصحو المبكر ، وانتظام التغذية ، إلى آخر هذه العادات ذات أثر حاسم فى الصحة الفردية والشعبية ؛ وجميعها تتكون بالمرانة والتعويد

فى سن مبكرة جدا أكثر مما يعتقد الكثيرون من الآباء والأمهات الذين لا يلتفتون الى أطفالهم الا بعد سن معينة ؛ بل إن بعضها ينشأ عن غير وعى بحكم المناظر التى تقع عليها عيون الأطفال وتألفها أنظارهم فى سن الطفولة الباكرة .

وكثيرا ما نرى الصبى الذى يصحو فى موعد معين كل يوم فيغسل يديه ووجهه ورأسه ورجليه بطريقة آلية وينظف طربوشه وبذلته وحذاءه بينما هو يفكر فى الدرس الأول، ويسير منتصب القامة متوسط السرعة، ويعود فى نهاية اليوم ليخلع ويغسل ويرتاض ثم ينام فى ساعة معينة أو يذهب إلى السرير لينام بعد غسل وجهه ورأسه . هذا الصبى لا يصنع هذا كله لأنه يدرك فائدته، والكل لأنه تعود فاعتاد . وكل منا يستطيع أن يتنبأ لمثل هذا الصبى بمستقبل طيب على الأقل من الناحية الصحية ، وهى ذات أثر عميق فى الحياة العقلية والنفسية ، وفى الحياة الاجتماعية كذلك .

ونحن نصف شخصا ما بأن ذوقه سليم . ونعنى بهذا ذوقه فى الألوان والروائح والطعوم وذوقه فى الجمال والفنون ، ثم ذوقه فى التصرفات الاجتماعية . وهذا الذوق هو ثمرة عادات خفية استقرت فى الحس والنفس منذ الطفولة ، حين وقعت عين هذا الطفل على مناظر متآلفة منسجمة ، واستمعت أذنه الى نغمات وأصوات لا نشاز فيها، ونشق أنفه روائح هادئة رقيقة ، واعتاد أن يرى من المحيطين به حركات وإشارات وانفعالات مهذبة فى مناسبات خاصة ، فانطبع هذا كله فى حسه ، وأصبح يسعفه فى المناسبات بدون كد ولا تعمل .

فاذا ارتقينا إلى الحياة العقلية والعملية والاجتماعية لاحظنا أن هناك أفرادا نسميهم أصحاب الشخصية القوية ، وأفرادا نسميهم ضعاف الشخصية . وأشخاصا محبوبين من الوسط وآخرين مكروهين ، وأناسا جادين فى حياتهم وآخرين هازلين . وجماعة يمتازون بالدأب وقوة الإرادة وآخرين متقلبين مضعضعين إلى آخر هذا الانماط التى لا تنتهى .

ولو رحنا نحصى الفوارق بين هؤلاء وهؤلاء لوجدناها فى النهاية مجموعة عادات تحدد تصرفاتهم فى وقت معين فتفترق بينهم الطريق . ولا نستطيع أن ننكر الوراثات والمواهب الطبيعية ؛ ولكن الوسط هو الذى يوجه هذه الوراثات والمواهب ، بتكوين عادات معينة هى التى تحدد الموقف طيلة الحياة .

خذ مثلا لذلك ما نسميه " القوة المعنوية " فما هذه القوة المعنوية ؟ إنها قوة الاحتمال والتماسك والرجاء فى حالات الخطر والضغط والشدة . وكيف توجد هذه القوة ؟ إنها توجد بعد مواجهة عدة حالات من الحرج فى وسط عائلى أو اجتماعى يملك أعصابه ويتحمل الكارثة حتى تمر... فالطفل الذى يرى أمه أو أباه أو أحد المشرفين عليه باستمرار يصرخ ويجزع ويفقد صوابه لأن النار قد شبت فى المنزل أو لأن حائطا انهار أو لأن أحد أفراد الأسرة

أصيب فى حادث ... لا يمكن أن ينشأ شديد القوة المعنوية ، بعكس طفل آخر تقع عينه فى مثل هذه الحوادث على ثبات وتماسك وتحمل ، فإذا فزع نهى عن هذا الفزع وأشعر بالطمأنينة والأمن ، فهذا هو الذى نسميه فيما بعد " رجلا ذا قوة معنوية " .

والولد المدلل الذى تجاب رغباته جميعا ، ويحس أن الكل فى خدمته ، وأن له حقوقا على الجميع ولا حق لأحد عليه ، وأنه يجنب جميع المتاعب والعراقيل ، وتمهد له شئون الحياة فى يسر ونعومة ... هذا الطفل لن يكون أبدا رجلا ذا قوة معنوية ، لأنه اعتاد ألا يواجه التبعات والأخطار ، فإذا واجهها فإما أن يلجأ إلى سواه ليحملها عنه وإما أن تخور قواه ويستسلم لدى الصدمة الأولى .

والحياة فى المجتمع . إنها كذلك عادة . فالولد الذى لم يتعود منذ نشأته أن يعامل الناس وأن يتحدث معهم ويجلس اليهم ويأخذ منهم ويعطى ، ينشأ خجولا مرتبكا ، جاهلا بالآداب الاجتماعية ، غريبا عن البيئة العامة وهو الذى نسميه فيما بعد (لخمة) أو شاذا ، والذى يحتاج — بعد أن يكبر — الى مجهود عنيف يبذله لمواجهة المجتمع الذى يعيش فيه ، وقد ينجح فى هذا المجهود أو يخفق حسب الظروف .

والمهم أن المعرفة النظرية لا تجدى دون المزاولة العملية ، فالطفل الذى يلقن أن يسلم على الضيوف مثلا دون أن يعتاد التسليم عليهم بالفعل لا يجيد ذلك ، والتسليم على الضيوف مثل صغير لبقية التصرفات الاجتماعية الكبيرة .

وهذا المثل يلفت نظرنا بشدة إلى الأخطاء الشنيعة التى نرتكبها فى إعداد شبابنا وشاباتنا للحياة العملية فى المستقبل .

فالمعروف أن الشاب المصرى لا يقل فى معلوماته — بل هو يزيد — عن زميله الأجنبى ولكنه لا ينجح فى الحياة نجاحه . لماذا ؟ لأن الطفل المصرى ثم الشاب المصرى ينشأ فى شبه عزلة اجتماعية عن الوسط الذى سيواجهه فى حياته العملية . فالمدرسة تحول بينه وبين هذا الوسط طيلة مدة الدراسة حتى فى المدارس العملية ، ولا صلة بينها وبين سوق العمل والتلميذ والطالب يبقى فى هذه العزلة مدة تتراوح بين عشر سنوات وخمس عشرة سنة ثم تقذف به الى المعترك بعد ذلك مجردا من جميع التجارب العملية والاجتماعية ، فيحتار ويرتبك فإما أن ينكص على عقبيه بعد ذلك يطلب الأمن والسلام فى دواوين الحكومة ، وإما أن يقتحم الميدان ولكن فى حذر وتردد يقعدان به عن مجاراة زميله الأجنبى الذى خبر الحياة وهو يتلقى الدروس بالمدرسة ، لأن تقاليد هذه المدرسة وتقاليد الأسرة التى يعيش فيها تساعدانه على الخبرة بالحياة .

وهذه الفتاة المصرية التى نترعها من حياة البيت انتزاعا مدة عشرة أعوام أو خمسة عشر عاما فى مدرسة لا صلة بينها وبين البيت ، ولا مشابهة بين جوها وجوه ، لا فى عمل ولا

فى مجتمع ولا فى مهانة ، ثم نطلب إليها بعد ذلك أن تعود الى البيت زوجة ، بعد ما اغتربت عنه هذه الغربة الناويلة المديدة. الغربة الروحية والغربه العملية والغربة الاجتماعية. ألا تكون متعبتين حين نطلب الى فتاة من هذا النوع أن تحيا وتتنفس فى هذا الجو الغريب .

الفتاة التى اعتادت أن تنهض فى الصباح المبكر فتنطلق الى الشارع ومنه الى المدرسة حيث تلتقى بعشرات الوجوه فى الطريق و بعشرات الوجوه فى المدرسة من زميلات ومدرسات ومدرسين ، ثم بعشرات الوجوه فى الكلية من زميلات وزملاء وأساتذة . حتى إذا عادت فى نهاية اليوم عادت مثقلة بالواجبات المدرسية فجلست إلى المكتب والكتاب ، أو ذهبت الى زيارة زميلة أو زميلات أو استقبلتهن للحديث فى الجو المدرسى والحياة المدرسية . فاذا كان يوم عطلة فهى فى رحلة مدرسية أو مشاهدة سينمائية أو مسرحية أو رياضة جماعية على كل حال .

هذه الفتاة بأى حق نستطيع احتباسها فى المنزل بعد ذلك زوجة مسئولة وربة بيت مفردة ، بعد هذا الضجيج وهذا الاختلاط وهذه الحياة الاجتماعية التى أصبحت عادة لها مدى خمسة عشر عاما كاملة .

وحين يصبح الصباح ولا تنطلق هذه الفتاة إلى الشارع فالى المدرسة كما اعتادت رجلاها أن تحملاها كل صباح . كيف تطيق الحياة وتصبر على هذا الحبس الفظيع ؟ ثم نطلب اليها بعد ذلك وفوق ذلك أن تشرف على بيت ، وأن تكون مسئولة عن أطفال ، وهى التى ظلت طفلة طول هذا الوقت معفاة من كل شؤون البيت لأن النجاح فى الامتحان العلمى النظرى والحصول على الشهادة المدرسية هو كل ما يطالبها به أهلها طيلة هذه السنوات .

يجب أن نحسب حسابا لهذه الصدمة التى تصيب كل فتاة وأن نعذر هؤلاء الفتيات اللواتى يحطمن أعشاشهن و يطرن منها فى العام الأول ، فهؤلاء فتيات لم نهيئهن نحن للاحتباس فى الأعشاش مهما كانت مغرية ، لأن سنى الدراسة طويلة ، والجو المدرسى بعيد كل البعد عن الجو العائلى ، والواجبات المدرسية ثقيلة لا تدع لهن وقتا للاشتراك فى الحياة المنزلية بعد المدرسة ، ومقتضيات الحياة فى المدارس جميعها تتنافر مع مقتضيات الحياة داخل البيوت .

وهناك الفتيات المدللات اللواتى قد اعتدن من أهليهن إجابة جميع رغائبهن بلا قيد ولا شرط بحجة أنها مطالب بريئة ، كما اعتدن ألا يعنين بأحد بينما تتوجه إليهن العناية من الجميع وألا يسألن عن شىء وسواهن يحتمل جميع التبعات .

هذا الصنف من الفتيات يفشل كل يوم أمام أعيننا فى الحياة الزوجية ذات التبعات الكثيرة ، لأنهن يصطدمن بإرادة أخرى غير إرادتهن و بمشكلات لم يعتدن مواجهتها من قبل ، و بتدبير منزل ورعايه أطفال ، و بعشرات من ملابسات الحياة اليومية مع الخدم

وغير الخدم ، ولا حيلة لمن فى هذا كله لأنهن لم يعتدن هذه الحياة . والعادة أقوى سلاح فى معترك الحياة .

والبيوت التى اعتادت أن تترك للمربيات والخدم الإشراف على أطفالها معظم ساعات اليوم ، إما لاعتقاد سيداتها أن هذا من مقتضيات الحياة الارستقراطية ، وإما لأنهن مشغولات بتفاهات الحياة عن الواجب العائلى المقدس وعن كل اهتمام صالح .

هذه البيوت لا تعرف ماذا تصنع بالجيل المقبل . لا تعرف أن هؤلاء الأطفال سيحصلون على عاداتهم المستحكمة التى تصرف حياتهم فى المستقبل من هؤلاء الخدم الذين نعرف درجتهم الاجتماعية . فان السيد فلان سيأخذ عاداته فى الحركة والحديث والإيماءة والإشارة والمشية والضحك من الخادم فلان ثم ينسب بعد ذلك للسيد فلان !

لا بل سيأخذ قاموسه اللفظى مما يسمع من الخادمات والخدم ، وستتكون تعبيراته من بذىء التعبيرات والكنايات بينهم ، وستحتفظ واعيته الباطنة بكافة الإشارات الوقحة ، والحركات الساقطة والانفعالات القبيحة ، وحسبه أن يحمل من أبويه نسبته إليهما ولقبه الكريم ؟

هذه البيوت "الراقية" كما يسمونها ترتكب كل يوم مثل هذه الجريمة فى حق الجيل المقبل ، وتخرج للمجتمع أحط وأرذل الفتيات والفتيان ، الذين نشأوا فى أحضان الخدم ، واستقوا عاداتهم وألفاظهم وأخلاقهم من أقذر الطبقات الاجتماعية فى هذا البلد ، ثم تورثهم هذه البيوت ألقابها وأموالها وجاهها فتجعل لهم بذلك السيطرة على المجتمع ، وتجعلهم قدوة للآخرين ، وهم لا يحملون من هذه البيوت إلا اسمها ، أما نسبتهم الحقيقية فيجب أن ترد إلى طبقة الخدم المنحطين ؟

هذه هى الجريمة السافرة التى ترتكبها المرأة فى هذا الجيل و يرتكبها الرجل معها . وهى جريمة تقع مرة نتيجة للفهم الخاطئ لمقتضيات الارستقراطية الكاذبة . وتقع مرة نتيجة لمقتضيات العصر التى تبيح للمرأة المتزوجة أن تعمل فى الحياة العامة ، فتضطر حتما أن تكل شأن طفلها الى خادم أو خادمة (فليس عندنا مربيات بالمعنى المهذب المعروف) و ينشأ هذا الطفل سيدا فى مظهره خادما فى خلقه ونفسيته بحكم العادات التى أخذها بالقدوة و بالتلقين ؛

الحياة عادة . فلنجتهد ، أن نزود أطفالنا بمجموعة صالحة من العادات ، ندربهم عليها تحت إشرافنا بالقدوة و بالتلقين و بالممارسة . فهذه هى الأسس الثلاثة لتكوين العادات . والممارسة أهمها فالعادة لا تتكون الا بتنفيذ الانفعال وتكرار هذا التنفيذ حتى تثبت فى المجموع العصبى وتؤدى بعد ذلك بدون جهد بل بدون انتباه .

أما الذين فاتتهم هذه العادات فى دور الطفولة ، فلا ييأسوا ، وانهم ليستطيعون أن يحصلوا على مجموعة من العادات الطيبة ولكن بعد الجهد الطويل .

الانتفاع بالعقل

بقلم الأستاذ صلاح الدين الأيوبى

وكيل ادارة البيع والرهن بوزارة التجارة

من أفيد وأمتع الدراسات الوقوف على نظريات العقل الحديثة التى بزغت بها أبحاث العالم النمسوى سيجموند فرويد الذى يعتبر أول من درس العقل ، وأبحاث من تبعـــه من تلاميذه فى مختلف البلدان الذين تناولوها بالشرح والنقد والتعليق .

ومؤدى هذه الأبحاث أن لكل إنسان عقلين : أحدهما هو العقل الواعى الذى تقرأ به هذه الصحيفة ، فتعى شكلها وشكل الحروف المرسومة عليها والمكان الذى أنت فيه الآن ، وما هو موزع فى هذا المكان من أشياء أو أثاث أو خلافه .

ومن هذه الأشياء ما تعى به بجلاء ووضوح مثل معانى الكلمات التى تقرأها فى هـذا المقال ، ومنها مالا تعى به بهذا الجلاء والوضوح ، مثل دقات الساعة إن وجدت فى الغرفة ، أو شكل الستائر المسدلة على نوافذها ، أو ألوان الصور المعلقة على حوائطها ، فكل هـذه الأشياء تعتبر واقعة فى مجال وعيك ، غير أن الأشياء التى تعى بها بجلاء ووضوح تعتبر واقعة فى بؤرة هذا المجال ، والأشياء التى لا تعى بها بجلاء ووضوح تعتبر واقعة فى حاشية هذا المجال .

ويتحول الوعى من الحاشية الى البؤرة ومن البؤرة الى الحاشية بأسلوب طبيعى وبسيط كما تتم عملية التنفس .

ولا يقتصر مجال الوعى على ما هو خارج النفس ، وإنما يتناول أيضا ما هو داخل النفس ، فأنت تعى بأنك تقرأ هـذا المقال ، ويسمى هذا الوعى وعيا بالذات . وهو يلعب دورا هاما فى حياة الانسان لأنه يمكنه من أن يجعـل من نفسه رقيبا على نفسه ويوجهها التوجيه السليم . والزج الذى ينتاب الخطيب ويربكه إنما هو مظهر من مظاهر إساءة الوعى بالذات ، وقد أمكن وضع علاج لهذه الحـالة وغيرها من العيوب النفسية .

وهـذا العقل الواعى هو عقل الانتباه والملاحظة والتفكير والتروى والتذكر والتخيل والابتكار ، وهو العقل الذى يقدر به الانسان شؤون يومه ، وهو العقل الذى وضع العلوم والثقافة الحديثة . وقد لوحظ أنه رغم نضجه ورغم امتيازه بميزة الوعى ، لا يستطيع الثبات على مواصلة عمله وقتا طويلا ، فلا يمكنه طـول البقاء على الوعى لأنه لا يتحمـل التعب كثيرا .

وقد لوحظ أيضا أن مكانا ما فى النفس دائبة فى انتهاز لحظات التعب التى تنتاب هذا العقل الواعى وتغتنم فرصة غفلته ، فتقذف بخواطر تقف فى سبيل الانتباه والملاحظة والتفكير والتروى والتذكر ، وكل أساليب العقل الواعى .

وقد تكون هذه الخواطر عن وليمة كانت بالأمس ، أو عن حفل ينعقد غدا وقد دعيت اليه ، فتسوق اليك هذه الخواطر أنك قد قمت خطيبا فى المدعوين ، أو أنك جلست إلى شخص محبب اليك ، وأحيانا تسوق اليك الخواطر اكتشافا بمزية فى شخص من أصدقائك لم تكن أدركتها فيه من قبل ، وأحيانا تلح عليك حادثة ماضية فيمنع الحاحها العقل الواعى عن متابعة أساليبه .

ويقال حينئذ إن ذهنك قد شرد وأنه خطر عليك خاطر ، ومعنى ذلك أن عقلك الواعى قد تعب لأن طاقته محدودة فى تحمل الجهود ، فانتابته سنة من الغفلة وانتهزت هذه الغفلة جهة ما فى نفسك تنبع منها هذه الخواطر .

بل إن النوم نتيجة لازمة لحالة التعب التى يصل اليها هذا العقل الواعى فى نهاية اليوم ، وهو إذ يستسلم أثناء النوم الى غفلته ، يخلو الجو لتلك الجهة من نفسك التى تنبع منها أنهار الخواطر فيراها النائم أحلاما .

تلك الجهة التى تنبع منها الخواطر فى اليقظة والأحلام فى النوم ، هى العقل الباطن ثانى عقلى الانسان .

ويؤدى إدراك هذه الحقائق إلى الاهتداء لفكرة ، هى ، أن النفس مجموعة طبقات بعضها أقدم من بعض ، وأن كلا من هذه الطبقات تثبت فى النفس بنسبة رسوخها فى القدم ، وأن العقل الواعى هو أول ما يتأثر بالتعب أو المخدرات أو الصدمات لأنه أحدث طبقات النفس ، فلا يستطيع السكران مثلا ولا يطيق أن يقرأ فى كتاب علمى ، ولكنه يسوق إليك هينا خواطره ، فيحدثك حديثا مسهبا دون عناء ، ذلك لأن عقله الباطن الذى تنبع منه الخواطر — وهى مادة حديثه — لم يتأثر بالخمر ، لأنه أرسخ من العقل الواعى ، نظرا لأنه أقدم منه . وإذا توغل السكران فى سكره فانه يفقد العقل الباطن فلا يستطيع ولا يطيق أن يحدثك ، ولكنه يظل منتفعا بغرائزه التى يشترك فى حيازتها كل من الانسان والحيوان ، لأنها أرسخ من العقل الباطن نظرا لأنها أقدم منه فى النفس فهى لا تتزعزع بالمهولة التى يتزعزع بها العقل الباطن على ثباته ورسوخه . ولكن إذا أثقل السكران امتد العطل إلى طبقة الغرائز فتتزعزع هى أيضا .

ومن مقارنة العقل الواعى بالعقل الباطن يتضح أن العقل الواعى يخالف فى أساليبه أساليب العقل الباطن ، فاذا كنت مغيظا من شخص فانى فى يقظتى أتدبر الموقف ، وأرد الظواهر إلى عللها ، وقد اهتدى إلى اعوجاج ما فى شخصيته ، فأحاول أن أصلح من هذا الاعوجاج باعتباره علة

اعتدائه علىّ ، ورغبة منى فى قطع سلسلة ضحايا هذا الاعوجاج الخ... ولكنى حين أستسلم للخواطر أرانى وكأنى أضربه أو أسبه ، أو كأنى جالس وحولى أتباع وأشياع وهو آت فى ذلة ومسكنة يلتمس عفوى وصفحى ، وحين أنام أحلم بأنى أضع فى جيده حبلا من مسد وأعلقه فى شجرة ثم أجلده بالسياط حتى تتفتح فى جسمه جروح دامية تصبح وكأنها أفواه تعتذر لى ، أو أنى أجره على وجهه و يعفر التراب جبينه وألقى به فى بئر فيها تنين فظيع أو فيها أفعى لها فحيح رهيب ، أو أنى اقتله بأسنانى ، وأمزق لحمه وأشلاءه .

ويدرك المتأمل أن أساليب العقل الواعى هى أساليب الثقافة الحديثة ، وهو لذلك سمى عقل الثقافة الحديثة ، وأن أساليب العقل الباطن هى أساليب الثقافة القديمة ثقافة الغرائز الغشيمة الخام ، غرائز الإنسان الفطرى الأول ، غير أن الخواطر تجرى أكثر تلطفا من الأحلام لأن العقل الواعى يمسها من قريب أو بعيد ، وأما فى حالة النوم فليس من شك أن الوعى ينعدم تماما ، وأن العقل الباطن يستعمل كل أساليب الثقافة القديمة فى التعبير عن محتو ياته ولذلك فإنه سمى عقل الثقافة القديمة .

وهذا التدرج فى ظهور الثقافة القديمة من الوضوح والقوة فى الأحلام إلى التلطيف أو بعض التهذيب فى الخواطر الى الزوال والاختفاء وقت إعمال العقل الواعى يثير فكرة ، هى أن العقل الواعى يهيمن على العقل الباطن ، فكيف تقوم العلاقة بين العقلين ؟

للوصول الى سر هذه العلاقة نستعرض عمل كل منهما ونلاحظ أن العقل الباطن دائم العمل ففى هذه اللحظة وأنت تقرأ هذا المقال وتتفهم عن وعى كلماته ومعانيه ، فان عقلك الباطن — دون أن تعى به — يعمل هو أيضا إذ أنه يحتفظ بتقريرات مفصلة عن كل ما تمارسه بعقلك الواعى ، وقد ذهب الدكتور يونج الى أن العقل الباطن يسجل أيضا مؤثرات يرجع عهدها إلى ما قبل انفصال الطفل عن أمه ، بل وعن أبيه ! ومعنى هذا أن كثيرا من عقائدنا وأفكارنا وتعبيراتنا وأفعالنا تتكون ، بادئ ذى بدء ، فى العقل الباطن ، وقد أكد التحليل النفسى النظرية القائلة إن المؤثرات على حياة الانسان وحيويته تنبع من أعماقه ، فأحيانا ترى أحد الأشخاص فتشعر نحوه ببغض أو خوف أو تقزز أو حب ، والغالب أن هذه العواطف والانفعالات ترجع الى أن شخصا ما يشبهه قد سبب لنا فى صغرنا هذه الانفعالات فانطبعت صورته مقرونة بالانفعال فى العقل الباطن وحين مثل أمامنا الوجه المشابه للوجه المحفوظ فى سجلات العقل الباطن — نبع من الأعماق — بفضل التداعى للشبه — هذا الانفعال المقترن بمثل هذه الصورة .

فلم تكن هذه الصورة قد محيت من العقل مهما طال العهد عليها ، ومهما ظلت غائبة عنا ، ذلك لأننا مادمنا فى غير حاجة اليها نستطيع أن نتخلص منها ومما يقترن بها من عواطف وانفعالات ، وذلك لكى نستطيع أن نباشر عملنا العادى . وقد زودنا الله سبحانه وتعالى بقوة دس

هذه الصور فى العقل الباطن بغيرأن نعى بها وهى تقوم بعملها فى كبت الذكريات حيث تظل مختبئة إلى حين طلبها . فنحن ننسى منظر قطار يدهم شخصا ويقتله ونكبت ما اقترن بهذا المنظر الفظيع من الانفعالات .

وقد يكون الكبت صالحا للحيوان كذلك مثل كبت الحيوانات المنسلخة ، فالعوسة تعوم بزعانفها مادامت فى المياه فاذا انسلخت إلى ضفدع تنسى أنها كانت تعوم لكى تستطيع أن تمشى وهى ضفدع على الأرض .

وهذا الكبت هو إحدى العلاقات بين العقلين .

وتظهر علاقة أخرى بينهما مما نلاحظه أيضا فى استمرار العقل الباطن على العمل ، وفى أنه لا ينفك يدفع بمحتوياته وهى الخواطر فى اليقظة والأحلام فى النوم :

ففى اليقظة عند ما أريد الانتباه الى أمر ما أشعر انى أبذل مجهودا فى تركيز انتباهى لكى أبعد عقلى الواعى عن تيار الخواطر السائبة السارحة ، التى من طبيعتها أنها تكون سيالة ترد تباعا وبغير عناء ، بل انها تكون مصحوبة فى جريانها بسرور ، وأما إشغال العقل الواعى فيستلزم استعمال جهد لتوجيه الانتباه ونحن نعى بحالة توجيه هذا الجهد فى منع الخواطر الحائمة من الدخول فى مجال الوعى . وهذه العملية هى المظهر الثانى من مظاهر العلاقة بين العقلين . وفيها تظهر هيمنة العقل الواعى على العقل الباطن .

وأما فى أثناء النوم فتتوقف القوة الملحوظة — أى التى نعى بها — الخاصة بتوجيه الانتباه ، كما تتوقف القوة غير الملحوظة التى لا نعى بها الخاصة بالكبت . فلا يكون انتباه ، ولا يكون كبت ، ويسمى نشاط العقل الباطن أثناء تعطل هاتين القوتين حلما . ومن ذلك يتضح ان كل انسان يحلم . وعندما يستيقظ تعود كل من القوتين سالفتى الذكر المعطلتين الى العمل فورا فيكبت كل الحلم أو بعضه ويتذكر الانسان جزءا منه ويغيب عنه جزء .

صلاح الدين الأيوبى

ملاحظات عابرة :

٢ — كانت لنا مطربة !

٢ — كيف نستمع للغناء !

٣ — دلالة الذوق الفنى !

(١)

مات "سيد درويش" فترك مكانه خاليا ، مكان الفنان الملهم ، الذى يتلقى من الطبيعة وحيها فيصوغه أنغاما ، ومن النفس الإنسانية خطراتها فيصوغها ألحانا ، وخلف من بعده جماعة من " المجددين ، قلدوه أولا فى التلحين والأداء فكان بينهم و بينه مايكون بين الأصيل والدخيل ، ثم بدا لهم أن يستقلوا بسرقة الألحان الأوربية وتطريتها حتى تصبح رخوة مائعة تلبى مافى إحساسهم من رخاوة وميوعة . وراحوا يتمايعون و يتضاءنون بالكلمات " الملتوته" فى أفواههم كنطق البله والمعتوهين والمطعونين الذين لايملكون إخراج النفس وتبيان الحروف.

وفى أثناء ذلك البلاء الذى أصاب الغناء كانت لنا مطربة كبيرة واحدة، كنا نعتز بصوتها الرخيم القادر على إلقاء مختلف النغمات و إبراز أشتات المعانى . وكان النقص الوحيد فيها أنها لم تجد منذ ظهورت الى اليوم ذلك الملحن " الإنسان " الذى ينتفع بهذا الصوت العريض العميق ، فيصوغ له من الألحان "الآدمية" مايؤدى به وظيفته العظيمة فى هذه الحياة .

كانت ميزة هذه المطربة الكبيرة أن لها من حلاوة صوتها وقوته وعمقه مايجعلها تستغنى عن وسائل الاجتذاب الخارجة على دائرة الفن ، كما تلجأ المطربات غيرها الى أنوثتهن ، وأنوثتهن وحدها يبرزنها فى الأنغام ليكملن بها ما ينقصهن من الصوت وحسن الأداء .

ولكن يبدو أن القدر يريد أن يحرمنا هـذه المطربة الواحدة ، فقد أشرفت على المرحلة الحرجة فى حياة المرأة ، فراحت تعمد الى ما كانت تجد نفسها فى غنية عنه من قبل ، وراحت تبرز الأنثى فى نغماتها وتخفى المطربة ، ثم يبتليها الله بمؤلفين يصوغون لها أغانى ليس فى معانيها إلا إبراز معنى الأنوثة المكشوفة ، فتتم الكارثة والعياذ بالله !

استمعت إلى الإذاعات الأخيرة للمطربة الكبيرة فأسفت وتألمت ، وقلت كفى من الأسى ... لقد كانت لنا مطربة ... ... يرحمها الله !

* * *

(٢)

وقبل أن ننفض أيدينا من المطربين والمطربات ومن المؤلفين والملحنين ، يجب أن نعود باللائمة على الجمهور . فهذا الجمهور العجيب هو الذى يضج بالهتاف والتصفيق كلما تدغدغت أمامه مطربة ، أو تخنث أمامه مطرب . هذا الجمهور الذى يستمع للطربات والمطربين بكل عضو فى جسده إلا أذنه ، وبكل حاسة الا الحاسة الفنية ! هذا الجمهور الذى لاذوق له ، والذى يصيح عند كل شطرة كالأوباش ، ولا يجد نشازا فى الجمع بين صوت التطريب الذى يسمعه وصوت الحيوان الهائج الذى يرد به عليه !

منذ زمن بعيد كرهت أن أذهب الى الصالات والمسارح لسماع الغناء ، لأننى لم أكن أستطيع أن أوفق فى أذنى وحسى بين هذه الطبقات المتنافرة من الأصوات على التوالى . ولم أكن أطيق منظر هؤلاء السكارى الذين لايذهبون ليستمعوا الا بعد أن يفقدوا كل مظاهر الوعى الإنسانى .

والآن أجلس فى بعض الأحيان وراء المذياع للاستماع ، وما استطعت أن أتخيل ضجيج المستمعين عند كل فقرة ، بل بين الفقرات كذلك ، إلا صراخ القطيع الهائج ، وثورة الحيوان المطعون !

أهؤلاء آدميون ؟

أنا لا أتهكم ! فأنا أشك من أعماق نفسى فى آدمية هؤلاء الذين لا يعرفون الطرب إلا هياجا وسعارا ، ولا يستمعون إلا وغرائزهم السفلى هى التى تنوفز وتتنزى ، ولن يهيج هذه الهيجة عقب كل فقرة إلا الحيوان المكبوت المسعور الذى ينطلق من عقاله ، فيصيح ويتخبط ويصفق ، كما يصنع هؤلاء المستمعون !

ودليلى على ذلك أن هذا الهياج المسعور يبلغ أقصاه عند ما تند عن المطربة أنة الأنثى وتوجعها ، أو تصدر عن المطرب دغدغة متميعة ، فهنا تتفجر تلك البهيمية المكبوتة التى أطلقها السكر من عقالها وهاجتها هذه الأنات والتميعات .

* * *

(٣)

والعجيب أنك لا تكاد تستخلص من هذا الشعب كله واحدا فى الألف يفطن إلى هذه المعانى . وهذه كارثة . فدلالة الذوق الفنى على مدى الرقى الإنسانى دلالة لا تكذب . فهذا الرجل الذى يدعى لنفسه وتدعى له شهاداته الثقافة ثم يخط ذوقه الفنى إلى مثل هذا المستوى تستطيع أن تجزم وأنت مستريح أن دعواه ودعوى شهاداته كاذبة من الأساس .

وأنت تجد بين هـذا التقطيع الهائج : المهندس والطبيب والمدرس وطالب الجامعة وتريح التجارة و ... ... وكل هذا محتمل ، لولا أنك تجد من بينهم أيضا بعض الأدباء والشعراء والفنانين ... يا للكارثة ! إن الأدباء والشعراء والفنانين هم خلاصة الانسانية فى كل حين ، فكيف يخدرون فى مصر إلى هذا الحضيض ؟

إننى حين أنظر من هذه النافذة إلى الشعب المصرى يدركنى يأس عميق من مستقبل هذ الشعب كله ، ولا يوصوص لى الرجاء إلا حين ألتقى بالأفراد القلائل المرتفعين عن هـذه الوهدة ، والذين ألمح فى إحساسهم وتقديرهم الفنى شعاع الآدمية المضىء ! .

وسيعتمد أناس فى قياس نهضة الشعب على إحصائيـة المتعلمين ، وعلى نمو الحركة الصناعية ، وعلى عدد السيارات والتليفونات والراديوهات ... إلى آخر ما يتخذه الباحثون الاجتماعيون من أنواع الإحصاء ليقيسوا بها حضارة شعب من الشعوب .

أما أنا فسأعتمد على مقياس واحد لا يخطئ هو الإحساس الفنى فى نفس هذا الشعب . الإحساس بالغناء والموسيقى والتصوير والنحت والأدب وسواها . لن تخدعنى العربة الفاخرة والكسوة الأنيقة والشهادة العلمية والخبرة العملية فطالما وجدت وراء هذه المظاهر جميعا حيوانا فى إحساسه النفسى ، أو عاميا فى ذوقه الفنى ، وتلك هى العلامة التى لا تخطئ فى جميع العصور .

والمصيبة أن هذا الذوق العامى ليس قاصرا على الغناء ، بل يشمل جميع الفنون ، وإنك لتجد فى بعض الأحيان مخلوقات عجيبة من أولئك الذين تدعى لهم شهاداتهم العلمية أنهم مثقفون ، ثم تستمع لآرائهم فى الأدب أو الموسيقى أو الغناء فيخيل إليك أن هـذه الملابس التى يرتدونها ملابس تنكرية ، وأن فى داخلها صعلوكا من الصعاليك .

أنا لا أطلب من كل إنسان أن يكون أديبا أو شاعرا أو عارفا بأصول الموسيقى والغناء ، ولكنى أطلب ذوقا فنيا يعتمد على حس سليم ، فلن يكون إنسانا ذلك الذى يفقد هذا القدر من الإحساس الطبيعى الأصيل .

والواقع أن تربيـة الذوق الفنى عندنا متروكة للإهمال ، لا يعنى بها أحد فى البيت ولا فى المدرسة ولا فى الأدب الذى يدرس بالمدارس ، وهو وحده يختاراته كفيل بإفساد كل ذوق سليم .

رأيت فى كتاب من كتب البلاغة المقررة فى المدارس الثانوية البيت التالى :

والورد فى شط الخليج كأنه رمد ألم بمقلة زرقاء !

فقلت فى نفسى : معقول إذن أن يعجب المصريون بالمطربين والمطربات المصريين . نقد تلقوا أصول الذوق الفنى من الورد الذى يشبه الرمد فى العيون !

ولله فى خلقه شؤون !

"س"

دراسات فى جولات :

بين ملائكة الرحمة . . .

بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

... وكانت حملة الحضور على المرأة قد بلغت أشدها ، هذا يرميها بالنقص ، وذاك يدعوها شيطانا ، وثالث يحملها وزر كل تدهور أخلاقى وغير أخلاقى ، ولم يكن فى مقدورى مع ما بذلت أن أوقف بدفاعى تيار تلك الحملة الجارفة حتى شاء الله أن يبعث بمن يقوى على وقفها دون نقاش أو جدال ، إذ طلعت على الحاضرين سيدة هى زوج مضيفنا . وسرعان ما سكتت الألسن ، وصمتت الأفواه ، وبان الخجل والحياء فى حركات الرجال ونظراتهم التى وزعت فى كل صوب وحدب ...

وابتدرت سيدة الدار الحفل بالتحية ، ثم أردفتها قائلة وهى تهز رأسها فى دهشة واعجاب " أما كانت حفلة صحيح ! ! " قلنا أى حفلة ؟ قالت الحفلة التى كنت أحضرها الليلة . فتساءل أحدنا : حفلة فى السينما ؟ . قالت لا ، قال فى المسرح ؟ قالت لا . . . قال آخر لابد أن تكون حفلة شاى قالت لا سيدى . قلنا فما تكون إذاً هذه الحفلة ؟ فأجابت حفلة عشاء عدس فى بيت صديقتنا ليلى دوس لصالح جمعيتنا . . .

واسترعت إجابة صاحبتنا انتباهى ورأيتنى أتسلل بمقعدى نحوها أسألها فى فضول أى جمعية ياسيدتى هذه . قالت " الجمعية النسائية لتحسين الصحة ... و إذ سألتها عن أغراضها قالت " هذا أمر يجمل بمثلك أن يراه و يلمسه بنفسه . . . "

سيدات وكفى . . .

لعالم النفس " الفرد أدلر " آراء طريفة فى تحديد مراتب الخلق ، فهو يرى فى الانسان حيوانا إذا ما حصر جهوده فى ارضاء رغبات ذاته ، و إنسانا عاديا حينما يضيف الى ذلك عنايته وتضحيته من أجل اسرته ، و إنسانا راقيا أو سيدا Gentleman إذا ما جاوزت خدماته أفق ذاته وأسرته ، فشملت الآخرين من بنى جنسه ، ونحن قياسا على هذا نرى فى الجنس الآخر طائفتين ، نساء وسيدات . وصاحب هذا القلم لم يؤمن يوما بأن بمصر سيدات بالمعنى الذى يحدده " أدلر " حتى رآهن رأى العين يعملن مخلصات فى ميدان الخدمة العامة ، رآهن للمرة الأولى فى جمعية مساعدة الضريرات التى قامت بجهود بعض المربيات الفضليات ، وللثانية فى جمعية مبرة الأميرة فريال ، وقوامها لفيف من كرائم العقيلات مع بعض السادة من قادة حركة الاصلاح . وقد عرضنا لأمر هاتين الجماعتين فى مقالين سابقين واليوم نراهن فى تلك الدار التى نجلو

أمرها . وهكذا نشهد بغبطة وسرور مجال عمل سيداتنا يتسع يوما بعد يوم وهو فى اتساعه يقوى أملنا فى النهضة المنشودة و يبشر الراغبين فى الإصلاح بخير عميم .

ففى تلك الدار الصغيرة العتيقة "دار الجمعية النسائية لتحسين الصحة" التقينا بلفيف من هؤلاء المتطوعات اللواتى يستحققن بجدارة أن ندعوهن ملائكة رحمة ، يعملن جادات مخلصات فى تدبير العيش لطائفة هى أحق الناس بالعناية — أسرات مرضى السل من نساء وشيوخ وأطفال — يعنين بهم و بعائلهم المريض ويتكفلن بكل ما يلزمهم حتى يتم شفاء رب الأسرة إذا قدر له الشفاء .

ثمانون قرشا ! !

"نعم ثمانون قرشا تتبرع بها بعض الفتيات الصغيرات تؤسس بها جمعية يبلغ رأس مالها اليوم ستة آلاف جنيه . ." وابتسمت الآنسة ليلى أمينة صندوق الجماعة ابتسامة فيها معانى الفرح بالفوز والاغتباط بالنصر ، ثم بدأت تقص علينا من نبأ هذه الجماعة ما فيه أسوة وقدوة لمن أراد القيام بعمل إصلاحى. والآنسة ليلى هى كريمة سعادة توفيق دوس باشا ، وهى شابة من ذلك الطراز النادر الذى أصاب هدف السعادة إذ عرفها فى إسعاد البائسين واستمرأ لذة الحياة فى تيسير هذه الحياة للمعوزين ، قالت الآنسة : " كان ذلك فى عام ١٩٣٦ حين تمنى ولفيف من زميلاتى مجلس عرضنا فيه لما ينبغى أن نشغل أنفسنا به بعد أن أتممنا دراستنا ؛ وقد أجمعنا الرأى على وجوب القيام بخدمة اجتماعية نسدد بأدائها بعض ما ندين به الفتاة المثقفة نحو بنى وطنها ، وقد عرضنا لمختلف الطبقات التى تستأهل الخدمة فلم نجد أحق من المرضى وأسرات المرضى . . وصمتت محدثتنا الفاضلة قليلا ثم عادت تقول : "وصادف فى ذلك الوقت أن وقفنا من بعض الأطباء على ما تعانيه مستوصفات الأمراض الصدرية من متاعب بسبب تعذر علاج بعض مرضى السل من أرباب العائلات لاضطرارهم مواصلة عملهم لإعالة أسراتهم وما فى هذا من خطر على حياة المريض نفسه وعلى حياة ذويه بل وكل من يحتك به لتعرضهم للعدوى بهذا المرض الخطير ، لذلك وطدنا العزم على أن نبدأ عملنا برعاية أسرات مرضى السل والعمل على تدبير العيش لهم مع بذل العناية بعلاج المريض وعزله حتى يتم علاجه . واسترسلت الآنسة ليلى فى حديثها قائلة : "خرجنا من اجتماعنا الأول نبشر بفكرتنا ، التى لاقت قبولا وترحيبا من كل من صادفنا ولم نلبث أن اجتذبنا الينا الكثيرات من الفضليات أمثال مسز كوى مديرة ملجأ أبناء السبيل بالعجوزة ، والسيدة ايفا حرم الدكتور عبد المجيد بك محمود التى ترأس جماعتنا اليوم وندين لها بأكثر ما بإغناه من تقدم ونجاح . وتابعت الآنسة حديثها قائلة : " ولم يكد يمضى على اجتماعنا الأول أسبوع واحد حتى كنا قد قسمنا أنفسنا للعمل فمنا من اختص ببحث حالات الأسرات ، ومنا من انطلق الى بيوت ذوى اليسار يجمع منها

ما يسد حاجة المحتاجين وها أنت ترى حولى فريقا ثالثا من المتطوعات يساعدننا بصنع الملابس لتنفع الجماعة بأثمانها " وأشارت الى عدد من السيدات التففن حول مكتبها وهن منكبات على حياكة بعض الملابس الصوفية . قلت " ولكن ما يجدى هـذا فى تدبير مال الجمعية وواجبها كما نرى يحتاج إلى مال وفير . . " قالت " إن موارد الجمعية تستقى من ثلاثة أبواب : الأول تبرعات المحسنين سواء باعانتنا مباشرة أو بالمساهمة فى الحفلات التى نقيمها. وقد قمنا فى العام الماضى بعمل حفلات كبيرة شرفت بعضها حضرة صاحبة الجلالة الملكة وحضرات أصحاب السمو الأميرات، كذلك تستعين الجماعة بما تدفعه عضواتها من اشتراك . ورسم العضوية عندنا صغير فهو لا يتجاوز خمسة قروش فى الشهر . والمورد الثالث هو من إعانة الحكومة وقـد منحنا معالى عبد الحميد عبد الحق بك فى العام الماضى مبلغ ألف وخمسمائة جنيه من ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية لإعانة أسرات العمال المصابين بالسل . و إذ خشينا حين نوزع هذا المبلغ على هؤلاء أن ينفقوه ثم يعودوا بعد ضياعه الى ما كانوا عليه من ضيق عمدنا الى إيجاد صناعة لهم فنحن نشترى الأقمشة ونوزعها عليهم ليحكنها ونتولى نحن بيعها للمحلات الكبرى ونقيد الربح للأسرات فى دفاتر توفير ونضيف اليـه من مال الإعانة قدرا مماثلا ومدت الآنسة ليلى يدها الى قمطر مكتبتها ودفعت الينا بعـدد من هذه الدفاتر قيدت فيها مبالغ كبيرة كلها ملك لسيدات من أسرات المرضى .

واذ عن لى أن أسألها عن أوجه نشاط الجماعة قالت " نحن نساعد بالمال والغـذاء والكساء أسرات المصابين ونتعهد المريض بعـد شفائه بالعناية ونوجد له العمل اذا كان عاطلا ونعد للناقهين مستعمرة فى ناحية البساتين بمصر القديمة وقد تسلمنا الأرض وسنشرع فى البناء، ونحن نعول أكثر من سبعين أسرة نؤوى بعضها فى دار خاصة للجمعية، وهنا استأذنت الآنسة الفاضلة للقيام بزيارة هذه الدار شاكرا لها ما بذلت .

كيف يعملون :

تقدم جمعية تحسين الصحة الى أسرات مرضى السل مساعدات عديدة :

(الأولى) إسعافها بادئ ذى بدء بالغذاء والكساء ودفع أجرة السكن .

(الثانية) التوسط لإمدادها بمساعدة دائمة من إحدى وزارات الحكومة إذا انعدم فيها القادرون على العمل .

(الثالثة) إيجاد عمل للريض إذا شفى وللقادرين من أهله .

(الرابعة) إيواء المعرضين للإصابة بالمرض فى منزل خاص تتوافر فيه الشروط الصحية .

وهى تكل أمر بحث حالات الأسرات الى إحدى عضوات الجمعية التى تتعرف أولا الى الأسرة ثم توالى التردد عليها حتى تتمكن من إيجاد جو مشبع بالثقة والاطمئنان بينها و بينهم

فإذا وقفت على أحوالها أمكنها أن تشير بالدواء الذى تراه ونحن نذكر مثالا لحالة مما تعالج الجماعة :

حولت إحدى عيادات الأمراض الصدرية المريض (س) لحاجته الى المساعدة فاتضح بالبحث أن :

١ — المريض يبلغ من العمر ٤٥ سنة وتقبل حالته الصحية العلاج بالمصحة .

٢ — الزوجة عمرها ٣٨ سنة وهى سليمة .

٣ — ابن عمره ١٤ سنة سليم ويعمل براديا بأجر يومى قدره أربعة قروش .

٤ — ابن عمره ١٢ سنة ضعيف الجسم ولاعمل له .

٥ — ابن عمره عشر سنوات سليم ولاعمل له .

٦ — ابنتان فى السادسة والرابعة من عمرهما .

٧ — والد عمره ثمانون سنة ووالدة فى هذه السن أيضا .

وتأوى هذه الأسرة المكونة من تسعة أشخاص إلى حجرة ايجارها خمسة عشرة قرشا ، وقد كان أول عمل للجمعية أن استأجرت مسكنا صحيا مكونا من غرفتين دفعت إيجاره وعزلت المريض فى غرفة خاصة وأرشدت الأسرة الى وسائل منع العدوى ثم ألحقته بعد ذلك بالمصحة واتصلت برب عمل الغلام الأكبر فرفعت أجره الى ستة قروش وأوجدت للثانى عملا بأجر قدره أربعة قروش وألحقت الأخير بعمل بغير أجر ثم منح أجرا قدره ثلاثة قروش ، وألحقت الوالد المسن بوابا بأجر شهرى قدره تسعون قرشا وهكذا كفلت لهذه الأسرة أسباب العيش حتى شفى الأب فاشتغل خياطا فى محل أسسته له الجمعية ، وتوالى الجمعية بواسطة إحدى عضواتها التردد على الأسرة .

وقد اتسعت دائرة خدمات الجمعية اتساعا يلمسه القارئ فيما هو مبين فى الجدول التالى :

السنة	الاسرات التى ساعدتها الجمعية	عدد أفرادها	عدد من ألحق بعمل	عدد من أدخل الملجأ أو المدرسة	الذين عولجوا من أمراض غير السل
متوسط الخمس السنوات الماضية	٣٦	١٥٧	٣١	٣٨	١٧
سنة ١٩٤١ — ١٩٤٢	٩٥	٢٩٠	٨٥	١٠١	٧١

وقد بلغ عدد من ساعدتهم الجمعية حتى الآن مائة و إحدى عشرة أسرة تتألف من ثلاثمائة وثمان وأربعين نفسا أوجدت لأكثر من مائة منهم أعمالا وألحقت بالمدارس والملاجئ ما يقرب من مائة وستين .

وتقوم دار الجمعية لإيواء الأسرات فى شارع محمد على جوار جامع قيسون . قصدنا تلك الدار وشاهدنا كيف حيأت الجمعية لهؤلاء البائسين حياة هادئة مطمئنة : هذه سيدة يحيط بها أطفالها وقد استقرت فى حجرة صحية وضعت فيها متاعها . إنها تعيش فى هذه الدار كما كانت تعيش فى بيتها ، فهناك أثاث بيتها البسيط مرتب منسق وتلك صورة زوجها تزين بها صدر الحجرة . كان زوجها حاجبا فى إحدى المحاكم وأصيب بالسل ثم قضى ولما كان المستخدمون الخارجون عن الهيئة بالحكومة لا يمنحون معاشا و إنما يكتفى بصرف مكافأة صغيرة الى ذويهم فقد باتت هذه المسكينة لا تملك شيئا اولا أن قيض الله لها من هذه الجماعة من يؤويها و يتكفل بعيشها وعيش أولادها . وهناك فى تلك الدار ترى عشرات من أمثال هذه السيدة وكلهن يعملن أعمالا رابحة تعود عليهن بالكسب الوفير فقد أعدت لهن الجمعية ماكينات للخياطة يمكن بها الأثواب و يتقاضين عن عملهن أجرا . وتعنى الجمعية بتغذية وكساء نزلاء الدار وتعد لهم كل أسباب الراحة ، فهناك مذياع وفصل للتدريس للصغار ، ولهم حرية الخروج لزيارة ذويهم و يعودهم طبيب خاص للتحقق من سلامتهم وهكذا عمرت الجمعية بحسن صنيعها بيوتا كان مقضيا عليها بالخراب وأمنت الحياة لأسرات باتت بعد حرمانها عائلها مهددة بالتشرد والضياع .

عند رئيسة الجماعة :

قصدت بصحبة الآنسة ليلى دوس دار السيدة إيفا بالزمالك فلاقتنا أكرم لقاء ومضت تحدثنا بتلك الروح المستبشرة المطمئنة التى قل أن تراها فى غير الانجليزيات قالت :

لقد هالنى عند قدومى إلى مصر ما شهدته فيها من ضعف العناية بالحالة الاجتماعية وما لمسته فى أهليها من افتقار إلى الإصلاح . وكم كان يؤلمنى أن أرى وجوه القوم شاحبة وهم فى ذلك الوادى الزاهر النضير ، وأن ألمس آثار سوء التغذية فى أبدانهم وهم أصحاب ذلك النهر الذى يتغنى العالم بخصب ضفافه ووفرة مائه ، وصمتت السيدة الفاضلة قليلا ثم عادت تقول : كنت أمر بالأحياء الوطنية وأشاهد ما يحيق بالقوم من بؤس وشقاء حتى إذا عدت إلى هذا الحى الملىء بالكرمات والقصور تساءلت فى عجب : كيف يهمل هؤلاء الأثرياء شؤون مواطنيهم ، ولم لا يشغل كل قادر نفسه بإصلاح ما يتوى عليه من شؤون بلده إن لم يكن بماله فبجهده أو برأيه . ظللت على هذه الحال من التأثر والتألم حتى أتاحت لى تلك الجلسة أمامنا (وأشارت إلى الآنسة ليلى) فرصة القيام بخدمة و إن كنت أرادا صغيرة إلا أنها تخفف بعض التخفيف مسئوليتى أمام ضميرى عن أداء شىء للبلد الذى يؤوينا والشعب الذى نعيش بين ظهرانيه .

وإذ سألت السيدة الفاضلة عما شاهدت من أسباب العناية بمرضى السل وأسرائهم فى الخارج قالت : لمرضى السل فى بريطانيا وفى غيرها من بلاد العالم المتمدين مصحات عديدة ومصر رغم أنها ضربت فى هذا الداء برقم قياسى بسبب سوء التغذية وفساد التهوية فى أماكن العمل وفى مساكن العمال والفلاحين ، هذا إلى عدم مراعاة تطبيق قوانين الصحة فى أكثر الأعمال ، أقول إنها رغم هذا لا تملك غير مصحتين اثنتين : واحدة بحلوان والثانية بالعباسية وهما لا تتسعان لعشر معشار المرضى . على أننا لا نحتاج فى مصر إلى مصحات كثيرة لو أننا راعينا ما يفعله الغربيون فى بلادهم ، ففى بعض البلاد تقوم الحكومة سنويا بإجراء كشف إجبارى على جميع الأهلين وتعزل المصابين منهم بأمراض معدية ومنهم مرضى السل فى معازل خاصة (Isolation Camps) وتتولى علاجهم بالمصحات فاذا بلغ المريض دور النقاهة أرسل إلى مستعمرة خاصة . وفى بريطانيا مستعمرات عديدة أهمها مستعمرة (Papeurth) وتعد بعض البلاد كالسويد والمانيا حدائق خاصة للساوئين ، وتابعت السيدة حديثها قائلة : على أن أهم ماينقصنا هنا فى مصر هو المعزل والمستعمرة ولهذين تعمل الجمعية التى أتشرف برياستها ، فقد تسلمنا أرض المستعمرة التى سنعدها للعمل قريبا ، وفى نيتنا إقامة المعازل بمجرد توفر المال فى أيدينا وإنى لأسالك أن تذكر ذوى اليسار من أهل البلد بمعاونة جماعتنا للنهوض بهذا العمل ، فليس أخطر على الصحة من ترك مرضى السل يختلطون بالأصحاء فى كل مكان . وإننا جميعا معرضون للإصابة ما دام هؤلاء المرضى طليقين يخالطوننا فى المقاهى ودور اللهو وفى الترام وفى السيارات العامة بل يشتركون فى إعداد الطعام الذى نأكله من خبز وإدام وحلوى وفاكهة .

وأدارت السيدة الفاضلة رأسها وا ـ لى صورة معلقة فى الحائط لشاب مريض بالسل وبجواره طبيبه وقد كتب تحتها عبارة "حكم الموت : The sertence of death" قائلة إن لهذه الصورة أثرا كبيرا فى توجيهى إلى خدمة هؤلاء البائسين ، وعادت الرئيسة العاملة تتابع حديثها عما يجرى فى بلدها الأصلى من عناية بالمرضى قائلة " إن النهوض بالمشروعات الاجتماعية لا يمكن أن يقوم على أكتاف الحكومة وحدها ، ففى بريطانيا يتحمل صاحب العمل ثلثى قيمة التأمين الصحى لخدومه وتعد الشركات الصناعية مستشفيات ومصحات لعمالها وتقوم الجمعيات الخيرية بخدمة المرضى والعناية بهم ، وهى ترسل من لدنها زائرة صحية تحل محل الأم فى العناية بالصغار إذا كانت الأم هى المصابة " واختتمت السيدة إيضا حديثها قائلة إن جهود جمعيتنا لازالت ضئيلة الأثر ونحن فى حاجة إلى المال وإلى المتطوعات المخلصات وبقدر وفرة هذين تكون النتيجة التى نحصل عليها فى تحقيق آمالنا المنشودة " .

أهمية دور المرأة فى ميدان الخدمة الاجتماعية :

يقول الشاعر الفيلسوف " رابندرانات تاغور " فى كتابه " البيت والدنيا " إن لكل من الرجل والمرأة محيطا خاصا ، فمحيط الرجل يمتد فى معنى السعة ومحيط المرأة فى معنى العمق

ومكان المرأة الأول فى البيت وما يتصل به ، بينما مجال نشاط الرجل فى الكون الذى خلق له ... " هـذا ما يراه الفيلسوف الهندى وتلك هى الناحية المعيبة فى روحنا الشرقية ، وقد نسى هؤلاء الراغبون فى تقييد المرأة فى حلقة البيت أن من النساء من خدمن بجهودهن المجتمع خدمات تقصر دونها هم الرجال ، فهذه مسز بيتشر ستو الامريكية قامت بأعظم عمل اجتماعى فى التاريخ وهو إعداد الرأى العام لتحرير العبيد فقد كان كتابها " كوخ العم توم " الملهم لأبراهام لنكولن للقيام بحربه ضد الجنوبيين المقاومين لحركة التحرير ، وهى لم تهب قلمها وجنانها لخدمة تلك القضية فحسب بل وهبت تلك الحرب ابنها الكابتن فردريك ، وها هو سفرها الجليل يترجم إلى ثلاث وعشرين لغـة وقصتها الخالدة تمثل فى المسارح وعلى الشاشة البيضاء من يوم إخراجها حتى الساعة ، وهناك أيضا مدام كورى مكتشفة الراديوم وابنتها جوليا التى فازت بوكالة وزارة البحث العلمى فى فرنسا عام ١٩٣٦ كما فازت بجائزة نوبل . وهناك اويزدى كوفيل صاحبـة فكرة إنشاء محاكم الأحداث وهى الآن فى الثانية والثمانين وتفخر باللقب الذى أضفاه عليها مواطنوها " كاعظم شحاذة " وهناك دوروثى كانفيلد صاحبة مشروع إيواء أيتام الحرب ، ومسز هيجسون التى مرت ببلادنا منذ سنوات حيث أوجدت فرعا لجمعيتها الخاصة بحماية النساء والأطفال ، والدكتورة منتسورى صاحبة الطريقة المعروفة فى التربية الحديثة ، وهناك غير هؤلاء وهؤلاء كثيرات . وفى تاريخنا العربى المجيد كما فى تاريخ الشرق أسماء لا نرانا بحاجة إلى ترديدها ، أسماء لا حصر لهـا لسيدات فضليات يزن الرجال فى ميادين الفكر والأدب والاجتماع . ونحن حين ندعو مواطناتنا أن يسعين إلى ميدان الخدمة الاجتماعية انمـا ندعوهن الى عمل هن خير من ينهض به ، فالمرأة أصلح من الرجل للقيام بالعمل الاجتماعى فهى أقدر منه على ترويجه والدعوة له ، والتأثير لجمع المال الذى هو عصب العمل وقوامه ، وهى أكثر أمانة وأميل الى الاقتصاد فى نفقات المشروعات ، وهى كذلك أحن قلبا وأرق شعورا وهى آمن من يدخل البيوت ويطمأن إليه فى بحث دخائل الأسرات . وفى بلادنا اليوم جماعات ناشـئة تعمل فى ميدان الخدمة الاجتماعية كجماعة " مبرة محمد على " ومبرة الأميرة فريال بمصر الجديدة وجماعة مساعدة الضريرات ومساعدة الأطفال والأمهات والجمعية النسائية لتحسين الصحة وكلها مفتقرات الى جهود سيداتنا الرحيمات .

يا بنات مصر من سيدات وفتيات :

ان الواجب يدعوكن أن تخرجن الى ميدان الخدمة الاجتماعية ، لقد رأيتن الأجنبيات يهبن جهودهن وأموالهن لخدمة بلدنا المفتقر الى الاصلاح ، فلا تكونن أقل غيرة على مواطنيكم منهن . واعلمن أن السعادة الحقة هى فى إسعاد البائسين ولذة العيش فى تيسير هـذا العيش للعوزين فهيا هيا الى ميدان الخدمة يارسل الخير ويامﻻئكة الرحمة .....

محمد عبد الكريم

الهجـــرة

من جنوب الدلتا إلى شمـالها

للاستاذ عبريان سعد

من البلاد ما يزيد سكانه على ما تدر من رزق ، فلا يكون أمام أهلها إلا أحد سبيلين :

إما الرضى بالفقر والراحة ، وإما الضرب فى الأرض حتى يستقروا فى مكان كثير الرزق قليل السكان . وهذا هو الهجرة .

والهجرة إما الى مكان داخل المملكة وإما إلى مكان خارجها ، فإن كان فى المملكة متسع من الأرجاء ينتقل إليه أهل الأماكن المزدحمة فليس ثمة ما يدعو أهل البلاد إلى هجرها إلى مملكة أخرى . وان ضاقت كل الأرجاء بأهلهـا وكانت فى الشعب روح الشجاعة وحب المجازفة وعدم الرضا بالفقر والراحة هاجروا الى أصقاع نائية ؛ والأرض كلها أرض الله .

وقد هاجر الانجليز الى الجزائر النائية ، كلما اكتشفت جزيرة نزح اليها منهم خلق أثروا ثراء عريضا فكان منهم أهل استراليا ونوزيلندا وأمريكا الشمالية . وهاجر من أوروبا خلق كثير نزلوا بأمريكا الجنوبية وجزر كثيرة من جزر الهند الغربية والشرقية ، أصابوا من الثراء فى أوطانهم الجديدة ما أصاب الانجليز .

وهاجر من سوريا ولبنان كثيرون يبلغون الآن مئات الألوف فى كل ناحية من نواحى العالم الذى يجد فيه المهاجر فرصا للعيش وفرصا للثراء .

ونحن الآن فى مصر نواجه مشكلة ازدياد السكان وازدحام بعض المديريات ازدحاما جعل الفقر ينتشر ، ولقد أصلحت الحكومة أراضى فى شمال الدلتا وكان يجب أن يخفف إصلاحها ازدحام المديريات الأخرى ولكن ذلك لم يحصل .

لمـاذا ؟ لأن الأرض المستصلحة يشتريهـا رجال المـال فيستثمرونها برجال معدودين ينقلونهم اليها كلما دعت ضرورة العمل ثم يعيدونهم الى بلادهم التى جلبوهم منها .

فإصلاح الأرض فى شمال الدلتا ، مهما تقدم وعظمت نتائجه سوف لا يكون له أثر فى حل مشكلة زيادة السكان ما دام الحال على ما هو عليه الآن .

ومن العبث أن نطالب فلاحى المنوفية والقليوبيـة وجنوب الشرقية والدقهلية والغربية وهى أشد مناطق القطر زحاما ، من العبث أن نطالبهم بالهجرة ، فلن يهاجروا لمجرد النصيحة أو الطلب رغم علمهم بأن الهجرة هى دواء فقرهم ، لأن الهجرة تحتاج الى مال والى ماشـية

والى بيوت تبنى فى المهاجر ، وفلاحو تلك المناطق المزدحمة لا مال لهم ولا ماشية ولم تبن لهم مساكن يأوون اليها ولم تعرض عليهم أرض يملكونها و يسددون ثمنها الاسمى من جزء من غلتها لا يعجزهم ان يدفعوه .

ولكى ندرك مدى تقصيرنا فى تشجيع الهجرة وترغيب الناس فيها يجب أن نعلم ماذا تصنع المهاجر للمهاجرين . وعندى طرف من حديثها .

فى سنة ١٩٢٨ كان لى صديق يدرس الهندسة البحرية فى انجلترا وأتمها ، ووضع على ظهر سفينة تجارية مساعدا لمهندسيها تمهيدا لمنحه الدبلوم . ومدة تمرينه هذه سنتان .

رحلت به السفينة تجوب بحار العالم ، فزارت كل موانئه تقريبا . وكان من البلاد التى قضت فيها السفينة أياما كثيرة نيوزيلانده .

عاد صاحبى ولقيته ، فحدثنى عن رحلته ، وحدثنى عن اقامته فى نيوزيلاندة ، وحدثنى عن أهلها الذين ربطته بهم صداقة ، وحدثنى عن الحياة هناك . فسألته عن الهجرة ، أهى مباحة ؟ وما مدى المساعدة التى يلقاها المهاجر ، قال إن هناك نقابات شبه حكومية تعطى المهاجر أرضا وآلات للتعبيد والزرع والحرث ، و يعطونه بذورا و يتركونه عامين أحيانا وخمسة أعوام أحيانا لا يحصلون منه ثمن شىء مما أعطوه حتى اذا استقر ودرت الأرض ، بدأ فى سداد ما أعطى .

ولقد رغبت فى الهجرة مع أنى كنت موظفا براتب يغرى أى شاب فى التمسك به ، فأرسلت طلبا لإدارة الهجرة فى لندن فجاءنى رد رقيق ومعه استمارات الهجرة . ولم يحل دون هجرتى إلا شرط لم استوفه ولا سبيل إلى التغلب عليه ، ذلك هو سابق اشتغالى بالسياسة والحكم على بسببها وهم لا يقبلون مهاجرا من هذا الطراز .

لو أننا أردنا تعمير أراضى شمال الدلتا واستغلالها كما أرادت حكومة نيوزيلاندة تعمير أراضيها ، لوجب علينا أن نسير سيرتها ونحذو حذوها . فاذا عمرت تلك الأراضى انحلت مشكلة السكان الزائدين فى المديريات المزدحمة ، لأن هؤلاء السكان هم الذين سيزحون لتعمير تلك الأراضى فنصيب طائرين بحجر واحد .

والفرصة الآن سانحة كأحسن ما تكون الفرص السانحة ، فإن فى مصر من أهل نيوزيلاندة عدد ضخم ، منهم من غير شك كثيرون ممن يشتغلون بالزراعة ولهم اتصال وثيق بالنقابات التى تمد الناس بالمساعدة .

ونستطيع بالاتصال بهؤلاء الناس ، أن نكون فكرة صحيحة عما يتبع هناك ، وأن نقتبس من نظمهم ما يتفق مع حالتنا الاقتصادية والاجتماعية . و إننا لنعلم علم اليقين أن مدى المساعدة هنا سيكون أقل بكثير من مداها هناك ، لاختلاف مستوى المعيشة فى مصر ونيوزيلاندة فالرجل هناك يحتاج للضرورى أو لعيش الكفاف أضعاف ما يحتاج اليه الفلاح المصرى الذى يضرب الرقم القياسى فى العالم فى قلة ما يكفيه من المال ليعيش .

لو أن آلاف الأفدنة بل مئات آلافها التى شقت فى قلبها المصارف بدل أن تباع بأثمان خيالية للشركات وزعت على الأسر التى تشتغل بالزراعة فى المديريات المزدحمة ووزعت على تلك الأسر مساعدات مالية وعينات من البذور والسماد والماشية ، ولو أن قرى بنيت فى تلك المساحات الواسعة لاصبح شمال الدلتا يبارى جنوبها عمرانا وثروة ولأصبح فيه لسكان المديريات المزدحمة متنفس . ولكن كل ما نظفر به ، وصف للزحام وطلب لحل مشكلته ووصف للفقر ومطالبة مقاومته .

إذا كانت الأرض تجد فى نيوزيلاندا مهاجرين من مختلف الممالك لزرعها وتعمير بورها نازحين اليها من كل فج عميق ، أفلا تجد أرض شمال الدلتا فى سكان جنوب الدلتا من يعمرها والمسافة بينهما لا تتجاوز بضع ساعات بالسيارة أو القطار .

مستحيل أن يكون الفلاح المصرى من الانحلال بحيث يأبى أن يهاجر من قرية لقرية أخرى إن ضمن أرضا ومساعدة وإن علم بأن الأرض سيستغلها لنفسه ، وأنها ستكون ملكا له . والدليل على ذلك هجرة أهل القرى المزدحمة من وقت لآخر إلى مزارع الشمال كلما احتاجت مزارع الشمال إلى عمال للزرع أو للحصاد . ولو أن أولئك العمال وجدوا سبيلا الى الاستقرار هناك بزوجاتهم وأولادهم لاستقروا .

سيعترض أصحاب المزارع فى الشمال بأنهم بنوا بيوتا للعمال ولكن العمال يأبون الهجرة وسكنى تلك البيوت . وردى على ذلك أن الهجرة إن لم يكن الدافع لها مطمعا فلا يمكن أن يقبلها إنسان ، وأى الناس يعمل بالأجر فى قريته التى ولد ونشأ بها ثم يهاجر ليعمل بالأجر نفسه فى قرية نائية يكون فيها غريبا ، والغربة نوع من الذل .

ولكن لو أن ذلك العامل علم أنه سيصبح صاحب ملك وأنه سوف يجد مساعدة تيسر له الزرع والحصاد ، إذن لرأينا سيلا جارفا من العمال الأشداء يحول فيافى شمال الدلتا التى تزرع نصف زراعة إلى ارض عامرة منتجة .

لنجرب إنشاء قرية ولنقطع زمامها قطعا صغيرة كل منها ثلاثة أفدنة مثلا ، ولنجعل لكل راغب فى قطعة منها بقرة ، ولنقدم له السماد والبذور على أن يدفع مال الأرض مضاعفا لمدة خمسين سنة ، فإن نجحت القرية وعمرت بالمهاجرين أنشأنا قرية أخرى وهكذا .

لقد أنفقت الحكومة ١٦٠ ألف جنيه إعانة للموظفين المنسيين ، ولها الشكر من غير شك ، ولكن الفلاحين المنسيين وأرض شمال الدلتا التى تنتظر سواعدهم وجلدهم وخبرتهم فى حاجة الى مثل هذا المبلغ ينفق كل عام ، فتنحل مشاكل متعددة لا مشكلة واحدة ، ويكون ذلك بدء عهد ينظر فيه الفلاحون للحكومة نظر الجيش للقائد لا نظر الطير للصائد كما قال الزعيم الخالد سعد يوم ولى الحكومة . لأن الفلاحين تعودوا حتى اليوم أن يدفعوا للحكومة لا أن يقبضوا منها . فاذا جاء اليوم الذى يقبض الفلاح فيه من يد الحكومة مالا أو يتسلم ماشية أوأرضا ، شعر الفلاحون جميعا أن الحكومة منهم فى مكان القائد لا الصائد .

عريان سعد

اثر الفرد فى الحياة الاجتماعية

للأستاذ إبراهيم الفطريفى

استعرضنا تطور الحياة الاجتماعية وأصل الظواهر البارزة فيها وأتينا على المفارقات الشاسعة بين طبقات الشعب وما تتعرض له الأغلبية الساحقة من السكان وهم جمهور الزراع والمشتغلون بالصناعة والتجارة المتعلمون منهم أو العمال سواء من الناحية المادية أو من الناحية العلمية وسواء إذا ما زاولوا أعمالهم أو إذا ما اضطرتهم ظروف الحياة إلى البطالة .

وقد خلص لنا أن هناك وسائل كثيرة تتعدد بتعدد نواحى الحياة الاجتماعية تساعد على تحسينها ورفع شأنها .

وفى مقدمة هذه الوسائل ما تبذله الحكومة سواء بالعمل على استحداث نظم جديدة أو وضع تشريعات اجتماعية .

ولكن هناك وسائل فعالة أبعد أثرا وأعم نفعا وهى المحاولات التى يقوم بها أفراد الشعب فى سبيل الإصلاح الاجتماعى ، لأن الحياة الاجتماعية للأمة هى فى تدرجها إلى الحياة الفردية للفرد ثم الحياة العائلية للأسرة ثم الحياة الطائفية لأى جماعة من الجماعات أو هيئة من الهيئات وأخيرا تتألف من كل هذا الحياة الاجتماعية العامة لجميع أفراد الشعب .

فاذا جاز لنا أن نصور جهود الدولة وجهود الأفراد إزاء الحياة الاجتماعية فلنتصور أن مجموع هذه الجهود يكون شكلا هرميا مثلث الأضلاع قاعدته الأعمال التى يقوم بها الأفراد ويتقدم بها المواطنون جميعا وفى نهاية الأعمال التى تؤديها الدولة اذ أنها تتوج سائر الجهود .

ولا نعنى فى هذا المقام مايبذله الأفراد وينظرون وراء ذلك إلى منفعة ذاتية خاصة ويكفيهم إرضاء أنفسهم وإشباع رغباتهم ولا يحفلون بأثر جهودهم على غيرهم أو بحكم مواطنيهم عليها ، فأمثال هذه الجهود ذات الطابع الأنانى لايمكن بحال أن تؤدى الى حياة اجتماعية صالحة وطبعا يتطلب هذا أن يتأثر فى نفوس الأفراد اعتقاد جازم بان لكل منهم أثرا بالغا فى حياة الجماعة وأن مايقوم به من الأعمال يعود على نفسه أولا ولكن يعود على غيره أخيرا وأنها هى المقياس الحقيقى له بين مواطنيه .

ويستوى فى هذا الأغنياء والفقراء والعمال وأصحاب الأعمال والمزارعون وأصحاب الأملاك على اختلاف نقط فى القدر الذى يستطيع كل منهم بذله تبعا لقدرته واستعداده وظروفه وسيترتب على هذا الإدراك ألا نجد بين الجماعة هؤلاء الأفراد المتواكلين الذين يستهينون بأنفسهم ويشعرون بضآلة شأنهم فيعيشون فى هذه الحياة الدنيا ويبارحونها وكأنهم لم يروها كذلك سيتوارى فريق من الأفراد يصور له ثراؤه أو جاهه أنه فى عزلة من مواطنيه ، عما من حياته مطامع يعمل اليها ومآرب يحصل عليها . تتطلب الحياة الاجتماعية إذن أن يشعر كل فرد بأن عليه للمجتمع دينا يجب أن يؤديه وحسابا يجب أن يقدمه .

فقد حبى الله عباده بنعم متعددة وخص بعضهم بالمال وبعضهم بالعلم وبعضهم بالجاه وآثر بعضهم على بعض لهذه الهبات ؛ فما على كل ذى نعمة الا أن يزكى عنها ويتزل عن جزء منها اذ أن للمال زكاة وللجاه زكاة .

لقد استتبع تطور الحياة الاجتماعية وجود طوائف من الناس قست عليهم ظروف الحياة وتركتهم بين طفل مشرد أو عاجز عن العمل أو مريض لا يعرف طريقه الى العلاج . ولقد قامت الحكومة وقادة الرأى باعداد النظم والمنشآت التى تكفل إيواء المشردين وإعانة العاجزين وعلاج المرضى فأسست الجمعيات الخيرية والملاجىء والمستوصفات وصناديق الإعانة ومكاتب المساعدات ، ولكن ما الذى يضمن لهذه المنشآت الازدهار والانتشار وما الذى يساعدها على أن تؤدى مهمتها على أعم وجه وأنفعه .

لا شك أن المال هو الدعامة لكل ما تقدم ولا سيما وقد أصبحت أعمال البر ضرورة اجتماعية يتعدى أثرها الى سائر أفراد المجتمع اذ أنه قد انقضى العهد الذى كان يقصد فيه بالإحسان المباهاة والمفاخرة ؛ وهذه لا تكفى أن يغذيها أريحية فردية عارضة أو نفحة من جواد لا يعود اليها مرة أخرى إذ أن الجهات المنظمة من أعمال البر الاجتماعى لا تقوم إلا على إحسان منظم يشترك فيه أكثر عدد ممكن من الأفراد كل على قدر طاقته يساهمون فى المؤسسات المتعددة ويتعاونون فى تغذية صناديق الإعانة ومكاتب المساعدات الاجتماعية ويتسابقون الى الأسواق والمحافل الخيرية فيصبح حب الخير عادة متأصلة فى نفوسهم وابتاء المعروف والإحسان عملا يقومون به لوجه الله ولصالح المجتمع .

هذا أثر الفرد على المجتمع اذا كان لديه فضلة من المال ، أما أثره على الحياة الاجتماعية اذا كان على شىء من العلم فلا يقل شأنا عن أثره السابق وأن للعلم زكاة كزكاة المال تماما اذ أن من واجب المتعلم أن يكون نافعا بعلمه وأن يرد بعضه الى البيئة التى نشأ فيها .

وتجب زكاة العلم على المتعلمين جميعا سواء فى ذلك العامل المتعلم أو طالب المعاهد الدينية أو طالب المعاهد العليا أو حملة الشهادات المدرسية على اختلاف درجاتها وأنواعها كل هؤلاء عليهم أن يشعروا أن للمجتمع حقا فيما يعلمون وأنه ينتظر منهم أن يؤدوا اليه هذا الحق على أى صورة من الصور التى يستلزمها النشاط الاجتماعى ومن حسن الحظ أن الوسائل التى تساعد على تحسين الحياة الاجتماعية وتحتاج إلى جهود الأفراد المتعلمين لا تقع تحت حصر فقد يكون من الممكن أن تحصر الحكومة جهودها التى تزاولها لتحسين الحياة الاجتماعية لأن هذه الجهود محدودة بميزانية معينة وبعدد معين من موظفى الدولة ، أما نواحى النشاط الاجتماعى العامة فلا تحد إذ أنها تتسع للافراد جميعا مادامت بين جوانحهم نفوس تشعر بالواجب عليها نحو المجتمع ، من الميسور أن توضع نظم وأن تسن قوانين لإنشاء النقابات بين العمال أو لإيجاد نظام التعاون أو لتشجيع افتتاح معاهد لحو الأمية أو للدراسات الاجتماعية ولكن ليس من الميسور أن تتغلغل هذه النظم فى نفوس الشعب وأن تتسرب مبادئها الى عقائد أفراده

إلا إذا وطن المتعلمون من الأفراد أنفسهم على الاستفادة من هذه الجهود الرسمية والتوسع فى استخدامها والقياس عليها بل واستحداث أكثر منها، على أن يقوم كل فرد بما يتيسر له فى هذا الواجب القومى حسبة لوجه الله ولوجه الوطن شأنه فى ذلك شأن المدين الذى قام بوفاء دين عليه لدائنيه فلا يرجو من هذا الوفاء جزاء ولا شكورا إذا أن الخدمات الاجتماعية بطبيعتها و بالقياس الى ماحدث فى الدول التى انتشرت فيها لا تنهض إلا على أكتاف جنود مجهولين يؤثرون العمل الصامت ولا يتطلبون من وراء جهودهم الإنجاح رسالتهم، لذلك فقد أطلق عليهم جيش الخلاص لأنهم يعملون على تخليص مواطنيهم من البؤس الى السعادة ومن الجهل الى العلم ومن التفكك والانحلال الى الهدى .

ولا يتطلب هذا الجيش إلا سلاحا واحدا هو الايمان الصادق بخدمة المجتمع والتعاون فى الوصول إلى هذا الغرض . فلو اتخذ المتعلمون فى مصر هذا السلاح على اختلاف بيئاتهم وأنواعهم عمالا وطلبة وحائزين على مؤهلات دينية أو مدنية ، وهم لا يقلون عن مليونى فرد، وجردوا أنفسهم لمحاربة الأمية ولمحاربة البدع والعادات السيئة وللدعاية للتعاون وللجمعيات التعاونية النافعة وللمشروعات الصالحة واتخذوا من منتدياتهم نكتات يعدون فيها عدتهم ومن محافلهم ومهرجاناتهم مواقع حاسمة يقضون فيها على ما فى هذا المجتمع من شرور وآثام لنالت الحياة الاجتماعية على سواعدهم فى سنوات ما لم تنله على هذا السير الوئيد البطئ فى أجيال .

أما صاحب الجاه من الأفراد فزكاته أن يسبغ شيئا من جاهه العريض على نواحى النشاط الاجتماعى الذى يهيئه استعداده أو هوايته لها وألا يقعد به جاهه عن الدخول فى ميادين الخدمة الاجتماعية العامة وألا يكون حسبه من جاهه ما يستمتع به فى عمله الرسمى أو ما يشعر به فى المحافل والمجتمعات من الصدارة والتكريم . وما أحوج المؤسسات الاجتماعية والمشروعات القومية الى مكانة ذوى الجاه حتى يكسبها ثقة تحمل الناس على الاقبال عليها وعلى الأخذ بها .

بذلك يصون ذوو الجاه جاههم فكما يضاعف الله للمتصدقين أموالهم فيرد اليهم الحسنة عشرة أمثالها كذلك ذوو الجاه اذا ما منحوا شيئا من جاههم للخدمة الاجتماعية العامة مكن الله لذكراهم وأبقى اسمهم وجعل خير أمتهم على أيديهم .

وللفرد صاحب الجاه أثر آخر على الحياة الاجتماعية بجانب الأثر الذى يحدثه من مساهمته فى النشاط الاجتماعى وذلك اذا ما كان يتخذ من نفسه مثلا صالحا لمواطنيه ينأى بنفسه عن مواطن الزلل و يقربها الى مواطن الكمال يطابق بين أقواله وأفعاله ولا يقوم بدعوة خيرة الا و يكون هو البادىء بها فيصبح له أجر من عمل بها الى يوم القيامة .

تلك هى آثار الفرد فى الحياة الاجتماعية اذا ساهم فيها بماله أو بعلمه أو بجاهه. قد أجملناها و ربما عدنا إلى تفصيل ما أجملناه .

مكتب البحوث الفنية ببروكسل

للأستاذ رشاد محمد محجوب

تعانى مجتمعاتنا الحديثة ضعف تقدم العلوم الاجتماعية ؛ وقلة نضوج المشتغلين بالعلوم الاقتصادية والسياسية ، أولئك الذين يدعون قيادة الرأى العام . وصار اليوم من واجب التعليم العالى أن يعمل على إظهار العلوم الاجتماعية ، وتكوين جماعة من الفنيين يتسابقون مع متطلبات الحياة العامة .

ولقد شعرت كليات الآداب والفلسفة فى كل البلاد بالحاجة إلى إدخال منهج من المحاضرات يرمى إلى إيجاد تلك الطائفة من العلماء ، ويحوى هذا المنهج معارف ثلاثا :

(أولا) المعارف الوصفية للأحداث الاجتماعيه ، وهـذه تضم بين دفتيها التاريخ العام والجغرافيا البشرية ، وعلم الأجناس البشرية .

(ثانيا) المعارف التحليلية التى تنتجها العلوم الاجتماعيـة الخاصة مثل العلوم الاقتصادية والسياسية والقانونية والدينية وعلم الإحصاء وعلم اللغة .

(ثالثا) العلوم التركيبية التى تبين الاتصال بين الأحداث الاجتماعيـة وأقسامها العدة واتصال الأحداث الاقتصادية بالسياسية والفقهية والأدبية ، واتصال القانونية بالسياسـية والأدبية . ومن تلك المعارف نخرج بفكرة جامعة كاملة عن الأفراد والروابط الاجتماعيـة بعضها بعضا .

والمعارف الثلاث التى أسـلفنا ذكرها تجد متمماتها فى المحـاضرات العلمية والفلسفية والنفسانية وعلوم الإحصاء وطرائق البحث .

ولاتكفى العلوم الاجتماعية التى تلقى بكليات الحقوق لتكوين فنيين ، وبناء عليه فقـد أنشئت مدارس للعلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة مستقلة عن كليات الحقوق ، ويطلق عليها فى جنيف : " كلية العلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية " .

ولا يقتصر سبيل البحث لإعداد هؤلاء العلماء على المنهج الخاص ، بل وعلى منهج عام لكل من العلماء الاجتماعين — والفنيين — ولكل من هذين دروس خاصة تتفق مع حاجاته الخاصة . فالعلماء الاجتماعيون مثلا يهمهم معرفة الكثير من الفلسفة ، وعلم النفس ، والتاريخ والطرائق العلمية . وطائفة الفنيين — سواء كانوا اجتماعيين أوشرعيين أو اقتصاديين — فهؤلاء مطالبون بدرس المسائل القانونية والسياسية والإدارية ومسائل أخرى دراسة وافية .

ولقد أنشأت جامعة بروكسل ببلجيكا سنة ١٨٩٩ مدرسة للعلوم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، ويرجع الفضل لوجود تلك المدرسة وعلو شأنها الى المسيو أرنست سولفى ويقترن اسم هذا الرجل بأربعة أمور : فقد أوجد مستخرجات كيماوية هامة من بينها كربونات الصودا وقد نظم صناعة عالمية نافعة ، وهو رجل كريم محب للغير — وقد قام بأعمال فى الاجتماعيات لمن هم تحت إشرافه ، ويعتبر الرجل كحام للأدب والفن فى المجمع العلمى ببروكسل على الخصوص .

وقد رأى بثاقب فكره فضل العلوم الاجتماعية ، وكان من أول المؤمنين بما تأتى من خدمات ، وتجلب من منافع . ولقد أهاب سولفى بالجامعة أن تنشىء المدارس وتسهل طرائق البحث الاجتماعية و إدخال الإصلاحات السياسية والاقتصادية .

ولا يخفى أن مجالات العلوم الاجتماعية رحيبة الجوانب ، متسعة النطاق ، وعلى الذين يريدون كشف مافيها ، و إثارة باجاتها أن ينفردوا بناحية من نواحيها ، ويتخصصوا ببحث من أبحاثها .

والمعروف أن قضايا العلم تتطلب النظر من عدة نواح ، فالمسائل المالية ومسائل العملة مثلا ليست مسائل اقتصادية بحتة ، وعليه فالمسائل الاجتماعية يلزم لبحثها الرجوع إلى ما يتصل بها من مسائل كالمسائل الاقتصادية والسياسية وغيرها ، هذه المسائل لكى تبحث بحثا ضافيا تحتاج إلى عدد وافر من الأفراد يتجاذبون النظر و يتبادلون البحث .

فمن الضرورى إذن توثيق مابين تلك العلوم وتسهيل العمل المشترك والتضامن فى الدرس والبحث ، وتنفيذا لهذا الغرض النبيل أسس سولفى سنة ١٩٠١ مكتبا للبحوث الفنية ببروكسل سمى مكتب " سولفى الاجتماعى " ببروكسل .

وله غرضان : أولهما ، إعداد المعدات اللازمة للبحث الوافى ، وثانيهما تنشيط التعاون المتين الدائم بين العلماء والفنيين لتمحيص الشؤون التى تهم الصالح العام تمحيصا دقيقا .

ونرى من المفيد إلقاء نظرة على نظام ومجهودات مكتب البحوث الفنية ببروكسل الذى أحرز شهرة عالمية فائقة .

فالمكتب عبارة عن مجمع علمى شائق للعلوم الاجتماعية ، وهذا المجمع منذ نشأته يفتح صدره للباحثين والمشتغلين بالمسائل الاجتماعية ، والذين يحتاجون لأمر من الأمور ، فهو يقدم لهم المعلومات التى تخص هؤلاء بسرعة وسهولة .

ولهذا الغرض أنشأ المكتب "معهدا إعداديا" يقوم كمكتب دولى للوثائق والمعلومات الخاصة بالأمور الاجتماعية . وهذا المكتب يقدم للجميع الوثائق الوافرة التى يجمعها والحلول

التى أيدها العلماء والمعاهد العلميـة الأخرى والتجارب التى أصابها العلماء فى ضروب البحث المتباينة .

وهنالك قائمة بأسماء المشتغلين ببحث " الاجتماعيات " و بأسماء المعـاهد والجمعيات العلمية والمكتب السالف الذكر يبعث بأسئلة بعض العلمـاء إلى البعض ، و بعد أسماء التصانيف اللازمة للسائلين و يرسل بأسماء العلماء لهم و يعمل على تقوية الأواصر العلمية بين هؤلاء وهؤلاء ، و بهذا يحقق فكرة " التعاون الفكرى " .

أضف إلى ماتقدم أن الباحث يجد فى مجلة المكتب صفحات علمية ثمينـة ووثائق عامة و إشادة بالكتب والرسائل والمقالات التى تهم الباحثين فى العلوم الاجتماعية .

ومن ذلك يرى أن نظام المكتب يسمح بمعالجـة المسائل الاجتماعية بتعمق ووفرة . ويلاحظ أن هناك مساعدين يـعدون السجلات اللازمة و يجرون الأبحاث التى لا يسمح الوقت للعلماء ببحثها . ويلاحظ أيضا أن المساعدين الدائمين والمؤقتـين للمكتب المختصين بالعلوم الاجتماعية . والمعتادين على البحث المشترك يجتهدون أن يعاونوا الباحثين الآخرين بتجاربهم ومعارفهم .

وكثيرا ماتلجأ علماء اخصائيون إلى أنظمة العمل فى ذلك المكتب و إلى مساعدة زملائهم فيه ، لكن الأشخاص غير الاخصـائيين كالكتاب وموظفى الادارات الكبرى . ورجال الصناعة والمـال والسياسة هم الذين يلجأون أكثر من غيرهم إلى وسائل البحث فى المكتب.

وزيادة على ماذكر فقد ألفت جماعات لتمحيص المسائل النظرية والعملية التى تعرض فى كل اليوم وهى مؤلفة تأليفا يبشر بالبحث المشترك والمعلومات الوافرة والنقل الصحيح .

وفى حالة ما إذا طرحت على بساط البحث إصلاحات اجتماعية ، لم يقتصر المكتب فى نظرها على العلماء والفنيين ، بل إنه يدعو إلى جانبهم الساسة الذين يمثلون آراء عدة والموظفين العموميين المشتغلين بالبحث .

وكانت طرائق البحث فى الاجتماعيات قبل الحرب المـاضية سنة ١٩١٤ — ١٩١٨ ترمى إلى المسائل المـادية والسياسية والاقتصادية وتشريع العمال والصحة الاجتماعية وتعديلات القـانون الجنائى والتشريع للجماعات التجارية والاستعمارية . وقرب نهاية الحرب المـاضية فى غيبة الحكومة والبرلمـان والإدارة وبعد الهدنة ، قام المكتب ببحث المسائل الاجتماعية حسب الدستور الوطنى الجديد ، فالبحث فى المسائل المـالية أدى إلى تعديل الضرائب ،

والبحث فى المسائل القانونية أدى إلى بث المساواة التى محاها الاحتلال الألمانى ، و إلى قانون الإيجارات ، والبحث فى مسائل الطرق الحديدية أدى الى وحدتها ، والبحث فى المسائل الصناعية أدى إلى إصلاح النظام الجمركى ، والبحث فى النظام النيابى ادى إلى البحث فى إصلاح مجلس الشيوخ .

ولقد استشير المكتب إبان الهدنة فى المسائل العالمية الكبرى التى أثارتها الأزمات الاقتصادية والمالية ولما أنشئت لجنة التعويضات سنة ١٩٢٠ فى باريس طلبت إلى المكتب أن يشرفها برأيه عن قوة ألمانيا فى الدفع وغير ذلك من الأمور .

وقد اشترك المكتب أيضا فى التأهب لعقد مؤتمر جنيف ، ومنذ سنة ١٩٢٣ والمكتب فى صلة وثيقة بالادارة الدولية للعمل .

وأخيرا فقد قام المكتب بقرار فياض عن رجوع بلجيكا إلى حالتها الأولى — سياسية واقتصادية وقانونية و إدارية — وهذا القرار ظهر فى سنة ١٩٢٦

ويسعى مؤسس المكتب إلى تقدم العلماء والفنيين والاجتماعيين وانتشار روح المسالمة بين الطبقات والشعوب ، وقيام التعاون على قاعدة الوساطة واحترام الاتفاقات .

ولا يفوتنا أن نسجل هنا تلك البادرة التى بدرت من العلماء والفنين فى معالجة المسائل أثناء الحرب الماضية وهى تأثر ضمائرهم فى الشهوات العامة والانفعالات الشعبية .

ولكن إذا أغضينا عن هذا نلاحظ أن القائمين بالمكتب قد تألفت جماعتهم فى جو وئام بين الطبقات والأمم .

وفضلا عن أنهم مختصون فى الاقتصاديات والعلوم السياسية والقانونية والاحصاء وفى علم الخلقة البشرية Ethnologie فإنهم كذلك يرومون إيجاد ثقافة اجتماعية عامة تمكنهم من فهم الاجتماعيات وفروعها حق الفهم دون تجاهل ناحية من نواحى البحث أو عامل من عوامله . ومما لاريب فيه أن نفوذهم القوى المتين مما يجعل أبحاثهم تقابل بروح الطمأنينة والأمل ما

رشاد محمد محجوب

الزوجة الصالحة

للاستاذ عيسى متولى

عانينا فى السنوات الأخيرة أزمة الزواج على إثر إحجام كثير من الشبان عن طرق أبوابه ، وكانت حجة الشبان فى هذا الإحجام قيام بعض العقبات فى طريقهم ، كالتغالى فى المهور ، وإرهاق طالب الزواج بما لا طاقة له به ، وإذا سألت أحد هؤلاء الشبان عن سر إحجامه ، أجابك بأنه لم يجد من بين الفتيات الفتاة الصالحة التى يحلم بها ، ويرسمها فى خياله .

وليس من العدالة أن ننكر وجود الفتاة الصالحة للزواج فى بيئتنا ، فهى موجودة ، ولكنهم ضلوا الطريق ، فلم يستطيعوا الوصول اليها ، إذ أخطأوا فهم الكثير من الحقائق ، وسلكوا سبلا كثيرة لم تنته بهم إلى الهدف المقصود ، فتفرقت بهم السبل ، وذهبت جهودهم أدراج الرياح .

حسب بعضهم أن صلاحية الفتاة تتوقف على مدى ما نالته من علم ، وأصابته من ثقافة ، وليست الثقافة وحدها بالشرط الأساسى لصلاحية الزوجة ، لأن الرجل لا يقترن بالمرأة ليتتلمذ على يديها ، ولتشرح له أصول العلوم ومختلف النظريات .

وحسب بعضهم أن صلاحية الفتاة تتوقف على مدى ما تمتلكه من ثروة أو عقار ، وليست الثروة وحدها بالشرط الأساسى لصلاحية الزوجة ، بل قد تكون الثروة فى بعض الأحيان عاملا من عوامل الإفساد لا الإصلاح .

وحسب بعضهم أن صلاحية الفتاة تتوقف على مدى ما حبتها به الطبيعة من جمال ، وليس الجمال وحده بالشرط الأساسى لصلاحية الزوجة ، فقد يكون الجمال أحيانا نقمة على المرأة .

راح كل منهم يبحث عن الزوجة الصالحة فى الناحية التى يعتقد أنه سيظفر بها منها ، فاذا به لا يظفر بشىء ، لأن اعتقاده قام على أساس خاطئ .

إن الزوجة الصالحة هى التى تجمع من المزايا والخصال ما يؤهلها للاضطلاع بأعباء البيت ومسئولياته . هى التى تقدر الزوجية تقديرا صحيحا ، وتقدس حقوق الزوج ، وتعمل على إسعاده ، وتسهر على راحته . هى التى توقف جهودها للبيت ، فتجعل منه جنة ينعم أهلها بكل ما يتمنونه من سعادة ، ورفاهية ، وهناء . هى الزوجة الوفية ، والشريكة الأمينة المطيعة ، التى تقيم دعائم حياتها الزوجية على أسس قوية مكينة .

هذه هى الزوجة الصالحة ، التى عناها النبى صلوات الله عليه وسلامه حين قال : "الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة" .

ومن النظريات التى لا يعوزها برهان أن صلاحية الزوجة تتوقف الى حدّ كبير على صلاحية الزوج ، فالرجال بما تخوله لهم القوانين الطبيعية والشرعية قوامون على النساء ، يوجهونهن وجهة الخير بالرفق إن أجدى ، وبالعنف إن لم يجد الرفق ، فالزوج الحازم الذى يعرف كيف يقبض على زمام بيته ويديره دفته بحكمة وتبصر يستطيع أن يمهد لزوجته وأبنائه طريق الخير والصلاح ، أما إذا انصرف الرجل عن بيته وأهمل شئونه ، فلا لوم نسوقه الى المرأة اذا دفعها ذلك الى الإهمال :

إذا كان رب البيت بالدف ضاربا فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

فلا تلوموا المرأة اذا لمستم فيها ناحية من نواحى النقص أو الإهمال ، ولوموا الرجل فهو المسئول الأول عن توجيهها .

وخليق بنا ونحن بصدد الحديث عن الزوجة الصالحة أن نبين أثر هذه الزوجة فى حياة زوجها ، فهذه المرأة التى تهز المهد بيمينها والعالم بيسراها تؤثر تأثيرا كبيرا فى حياة زوجها ، ولنا فى سير الأبطال والقادة خير دليل على صحة ذلك، ففى حياة كل بطل من هؤلاء الأبطال الذين برزت أسماؤهم فى سجل التاريخ ، وأولئك القادة الذين ملكوا زمام الأمم والشعوب ناحية هيأت لهم بلوغ هذه المراكز التى بلغوها ، هى ناحية " المرأة " .

فالمرأة الصالحة تمدّ شريكها بروح قوى يمهد أمامه كل صعب ، وتعينه على تذليل ما يعترضه من عقبات ، وتشجعه، وتؤازره ، ولو رجعنا إلى التاريخ لمسنا أثر الزوجة فى حياة الزعماء والقادة ، وأدركنا مبلغ ما يدين به هؤلاء العظماء لزوجاتهم .

لقد سئل المستر نيفيل تشمبرلين مرة : إذا لم تكن الأقدار قد اختارتك لتكون رئيسا للوزارة البريطانية ، فماذا كنت تود أن تكون ؟ فأجاب على الفور : كنت أتمنى أن أكون هذا الرجل الذى تتاح له فرصة الاقتران بمسز تشمبرلن .

وطالما شاد العظماء فى مناسبات كثيرة بما تركته زوجاتهم من أثر فى حياتهم .

كما أن الأم الصالحة تغرس فى أبنائها بذور الفضيلة بما توجهه اليهم من معانى الخير فتخرج للوطن شبابا مزودا بقوة الخلق ، وهى خير سلاح يشق به طريقه نحو غايات المجد والكمال .

والأم الصالحة قدوة طيبة لبناتها ، ترعاهن وتقيم حولهن سياجا من الحصانة يحميهن ويصون عفتهن .

وهكذا لا يقتصر أثر الزوجة الصالحة على ناحية واحدة ، بل تشمل جميع النواحى المحيطة بها .

وأحب أن أشير هنا الى ضرورة تعديل برامج تعليم الفتاة تعديلا يكفل تثقيفها ثقافة بيتية تؤهلها لحياة البيت ، ففنون التدبير المنزلى والطهى و إعداد المائدة ألزم للفتاة من دروس الجغرافيا والطبيعة والجيولوجيا .

إننا لا ننكر حق الفتاة فى التعليم ، ولسنا ندعو الى حرمانها منه ، إنما نطالب بأن تكون العناية بتعليمها التعليم البيتى أوفر من العناية بتعليمها سائر العلوم والمعارف ، لنعد للمستقبل فتيات صالحات تدربن على شئون المنزل ، وتربية الطفل ، حتى إذا ما هيأتهن الأيام لإدارة مملكة البيت ، أدين رسالتهن على وجهها الأكمل .

لقد رأينا من بين فتياتنا المتعلمات فريقا واصل درسه وتحصيله حتى بلغ النهاية أو قاربها ، فحصلن على دبلومات عالية ، وضربن بسهم وافر فى النبوغ ، فرأينا من بينهن المحامية الفذة ، والطبيبة البارعة ، ورغ كل ذلك لم تستطع الفتاة أن تتحدى طبيعتها أو تخرج على أنوثتها ، وتفر من أداء الرسالة التى خلقت لها . . . فاذا بها تخلع " روب المحاماة " وترتدى بدله " مريلة المطبخ " .

فما هى الحكمة إذن من مواصلة الفتاة للدرس والتحصيل إذا كان مصيرها البيت .

أو ليس الأصلح لها أن نعدها للبيت إعدادا صالحا ، ييسر عليها مهمتها ، ويعينها على أداء رسالتها ؟ .

* * *

أعود بعد ذلك فأقول للشبان المحجمين عن الزواج إن الزوجة الصالحة موجودة فى بيئتنا إلا أنها كالدرة الغالية ، تأبى إلا أن تبقى مصانة فى خدرها حتى يسعى اليها طالبها ، لا أن تسعى هى اليه .

هناك قانون اقتصادى يقول إن العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من التداول ، ونستطيع أن نطبق هذه النظرية الاقتصادية على حياتنا الاجتماعية ، وما نلاحظه من اختفاء النوع الجيد . فأقول فى صراحة إن بعض الفتيات عندنا يسعين إلى الزواج قبل أن يسعى اليهن طالبو الزواج . وتلكم هى العملة الرديئة التى تؤثر تأثيرا سيئا على العملة الجيدة التى تؤثر أن تبقى مصانة فى خدرها ، معززة الجانب ، موفورة الكرامة ، حتى يسعى اليها طالبها .

أيها الشبان المحجمون عن الزواج لا حجة لكم فيما تلتمسونه من أعذار حين تعزون سبب أحجامكم الى افتقار المجتمع الى الفتاة الصالحة . . فنى وسعكم الاهتداء اليها ، إذا أحسنتم البحث عنها ، وسلكتم اليها السبيل القويم .

لا تنظروا الى الزواج بهذا المنظار الأسود الذى يشوه لكم الحقائق ، ويصورها لكم تصويرا خاطئا ، وينفث فى نفوسكم اليأس والقنوط !

وفقكم الله إلى ما فيه خيركم وإسعادكم ، وخير المجتمع وإسعاده ، وهيأكم من أمركم رشدا .

عيسى متولى

قصة اجتماعية

يتيمة ! !

بقلم : سمير

— نعيمة

— نعم يا بابا

— هاتى الكرباج

ومن أقصى غرفة السطح برزت من بين أثاثها الرث القليل فتاة هزيلة صفراء اللون أسرعت بها قسوة الأيام فنقلتها على جناح البؤس والألم إلى سن الكهول وإن كانت فى الواقع لم تتعد العشرين . قامت الفتاة استجابة لرغبة أبيها الذى أنف أن يطأ بقدمه أرض الغرفة ، فوقف فى مدخلها والغضب ينشره ويطويه ، ووجهه المكتنز السمين يحمر وينعقد فيه الدم ، ومن ورائه وقفت زوجته التركية الفارعة التى تحوى فى قبح وجهها الدميم معشار ما تكنه من سوء أخلاقها وسواد نفسها .

وقفت من ورائه تنظر إلى الفتاة المسكينة متشفية متلذذة بمنظرها الأليم ، وقد أخذت الفتاة تنتفض وأوصالها من الرعب ترتعد .

ارتفع الكرباج فى الهواء ليستقر بشدة وعنف وغيظ على الجسد الواهن الضعيف ، فيحيط به كالثعبان ، وينال بلاماته الحمراء القانية من جسد الفتاة الضامر المنهوك ، فيتوهج لحمها ، وإن شئت التدقيق فقل جلدها ، كما يتوهج اللحم على السفود فوق النار .

كان وجه الفتاة شديد الامتقاع كوجوه الموتى ، والعرق يلتمع على وجنتها الأخضر الهضيم وشفتاها مطبقتان ببؤس وألم بينما أبوها يستأنف عمله . وما زال السوط يرتفع ويفرقع فى الهواء ، ويهبط على الجسد الآدمى الحى فيمزقه ، حتى لم تعد الفتاة تحس بالألم ، ثم طوح

بالسوط جانبا وركل فتاته ركلة قوية ، بينما تقدمت منه زوجته التى هدأ قلبها واستراح ، تسرى عنه ما بذله من جهد فى توقيع الجزاء ، ثم صحبته إلى الدور الأسفل حيث مسكنها الناعم الفخم الوثير .

لم تكن هذه هى المرة الأولى التى زار السوط فيها جسد الفتاة زياراته الدامية ، لا ولم تكن الثانية ولا العاشرة ، فكثيرا ما نال السوط من جسدها الناحل بمجرد أية شكوى تصبها زوجة أبيها فى أذن زوجها بطريقتها الشيطانية التى تحمل اللين فى ظاهرها ، وتخفى فى باطنها السم الزعاف ، وكأنما الرجل كان يجد فى شكوى زوجته فرصة للانتقام من ابنته اليتيمة ، فسرعان ما يهرع إلى حجرتها فى سطح المنزل ، وهناك تتكرر المأساة .

ومضى الليل إلا أقله ، والفتاة غارقة فى إغمائها ، إلى أن لفحت برودة الجو المتدافعة من النوافذ العارية جسدها النحيل ، فارتجفت مرات ، ثم استفاقت لتجد نفسها فى الظلام الدامس كالمعتاد لا أم تواسيها وتحنو عليها ، ولا جليس يخفف من آلامها وتعاستها ، وأخيرا لا قبس من النور يبدد وحشتها فى غرفتها العارية كقبر هجره الموتى .

نظرت حولها فى خوف وألم وقد زادتها ظلمة المكان رهبة وحسرة ، ثم تحاملت على نفسها وقامت تتحسس الجدران بيديها كى تصل إلى المصباح الصغير ذو الفتيلة الخابية .

ولكن سرعان ما انطفأ فى نفسها الأمل العارض عندما تبينت أن المصباح فارغ قد نضب منه البترول ، وإذن فقد قضى عليها أن تظل ليلتها فى الظلام حيث إنها لا تستطيع أن تنزل الى المطبخ فى هذا الوقت المتأخر من الليل لاستحضار بعض البترول خيفة أن تستيقظ زوجة أبيها الطاغية التى حرمتها من وصول التيار الكهربائى الى غرفتها العارية نكاية فيها وتحقيرا لها .

وقفت المسكينة تتنهد فى حرقة تفتت القلوب ، واقتربت من النافذة ، فى خطوات متعثرة ، ثم ألقت بنظرها على صفحة السماء فوجدتها حالكة السواد تماما كقلب زوجة أبيها وكأنما اتفقت مع القدر العابث على اصطناع هذه الظلمة القاتلة خصيصا للفتاة التعسة .

فقدت الفتاة آخر قوة لها فى المقاومة ، فألقت بجسدها على المقعد الوحيد بالحجرة ، واستندت بمرفقيها على حافة النافذة ، ثم أخذت تحملق فى الفضاء الحالك ، فعادت بها الذكرى الى أيام الطفولة ، وأخذت قصة حياتها تترى وترسم أمامها فى الأفق المظلم صورا متتابعة كشريط سينمى لدرامة هائلة مروعة .

رأت كيف قضت طفولتها فى رغد مع أمها المحبوبة ، وكيف كانت الأم الراحلة ترعاها وتحنو عليها وتحيطها بكل أنواع الترف والأبهة ، وكيف كانت أمها تجلس على أريكتها الطويلة فتجلسها على ركبتيها وقد زينت ابتسامتها وجهها الجميل وأخذت تصغى اليها بأذن متلهفة وتعلق على كلامها بصوت كله حنو وعطف وحب ، والفتاة تقول لها :

ـ أماه ضعى ذراعيك حولى ، ورأسى على صدرك ، كم أنت رحيمة يا أماه .

ورأت كيف تبدلت بعد ذلك الأحوال ، وزأر الدهر وكشر عن نابه ليثب على فريسته كى يلتهمها . فتى يوم حزين انفطر قلب الفتاة المسكينة عندما ولت أمها بعد مرضها الطويل ، وكانت حتى اللحظة الأخيرة ، تنظر إليها فى حسرة وألم ثم ختمت حياتها بالدعاء لابنتها كى يحفظها الله من قسوة الأيام بعد أن أخذت من زوجها الراكع بجوارها عهدا بأن يرعى ابنتهما ويجعلها أمانة فى عنقه إلى يوم يتقابلان .

ورأت كيف أن الأب لم يحترم العهد أكثر من شهور معدودة تبدلت بعدها الأحوال عند مجىء الزوجة الجديدة اللعوب ، إذ بدأ الحنو والعطف يتبدلان بسعير من جهنم وأتون من الجحيم ، فلا عين ترعاها ، ولا كلمة رقيقة تنفس عنها ، ولا ذراع يلتف حولها أو صدر يستند اليه رأسها . حياتها تمضى فى خطوات متثاقلة فى بطء مرير ، فلا موت يخلصها من ظلم الأيام ولا قبس من الأمل يضىء لها فرسخا من الزمان ويزيح عن نفسها سجوف الذل والحرمان .

استنجدت بالدموع ، ولكن الدموع قاسية ، لا تطاوع غير أصحاب الهموم الهينة ، وهذه الفتاة همومها من النوع القاسى ، فلم لا تكون هى أيضا قاسية ؟ أجل لقد قست وأقسمت أن تظل مكانها عاصية ، تأبى أن تنزل من مكانها لتفرج كربتها ...

استنجدت بالنوم ، وهل خلق النوم لعينين مثل عينيها ؟ كلا ... وهل طاوعها بسهولة من قبل حتى يطاوعها الليلة ؟ ... كلا . لقد أبى النوم كذلك أن يزور أجفانها المسهدة . وكأنما عينيها لاتريدان أن تبعدانها عن التطلع إلى صحائف حياتها وهى تتتابع متلاحقة متدافعة ...

وعند ما أوشكت تباشير الفجر أن تنبلج ، وانطلقت الطيور من تحت أجنحة أمهاتها الدافئة تبحث عن رزقها فى الأرض ، تذكرت الفتاة واجبها الذى يحتم عليها الاستيقاظ فى الفجر كل يوم لمسح أرضية المنزل جميعها قبل أن تستيقظ الهانم زوجة أبيها لتناول الإفطار وتجود بما يتبقى منه على الفتاة المنكوبة كى تتبلغ به .

اهتز كيانها عنـد ما تخيلت قدميها النحيلتين وهما تغوصان فى المـاء القذر كل يوم ، وكيف أن برودة المـاء تفعل فى هاتين القدمين ما يجعلهما تكاد ان تتجمدان ، وكيف أنها أصيبت برومانزم مزمن من أصابها من سنوات ولا من أحد يحاول أن يعطف عليها بدواء يعينها على الشفاء . طبعا لا أحد ، فمن ذا الذى يهمه أن تشفى ، ولمـاذا تشفى ؟ فلتمت ، ترح وتسترح . ولكن الموت عزيز ، له أسلوبه ، وله طرقه فى الاختيار .

وعادت بها الذكرى إلى أمها العطوف وكيف كانت تلبسها أجمل الثياب وأجود الأحذية وأفخمها ، وكيف كانت تعنى بقدميها دائما فتدفئهما فى جوارب صوفية غالية ، وكيف أن مربيتها العجوز كانت تقول لأمها ذات يوم :

— بلاش ياهانم الشرابات الصوف دى بعدين الهانم الصغيرة تاخد عليها لمـا تكبر .

فتبتسم الأم فى جمال ملائكى وتجيبها :

— الطفلة ضعيفة يا أم محمد ولازم نعتنى برجليها . هوّه أنا عندى كام بنت غيرها ؟

وقارنت بينها اليوم وبين أيام مضت عند ما كانت لا تستيقظ إلا على قبلة من فم أمها الطهور ، وقد ملأت شمس الصباح الذهبية جوانب غرفتها الأنيقة .

وتدافعت الذكريات وتزاحمت فى رأسها الصغير ، فثارت على تلك الحياة الوضيعة التى قضت فيها خمس عشرة سنة تسير على وتيرة واحدة لا تتغير ولا تتبدل ، وثارت على حجرتها الحقيرة التى يذكرها كل ما فيها بآلامها وحياتها التعسة ، وشعرت أن الحجرة قد امتلأت دخانا ضاقت نفسها عن احتماله ونفرها من البقاء فيها .

وسرعان ما ارتسمت فكرة الفرار فى مخيلتها ، وسرعان أيضا ما استسلم لها القلب الباكى الحزين ، فلم تجد إلا تنفيذها وسيلة تنقذها من نكبتها ، فمدت يدها تبحث عن الحذاء البالى تلبسه على عجل ، ثم بحثت عن قطعة ممزقة من ثوب قـديم سترت به ظهرها المغطى بثوب خلق رث . . . وخرجت دون أن تودع غرفتها التى شهدت آلامها ووعت أحزانها ، وقد تسرب اليها بصيص ضئيل من النور الخارجى .

وما هى إلا لحظات حتى حجبت ممرات الطريق المتشعبة طيفا ناحلا يجرى ويتلفت .

* * *

ومرت الأيام وتبعتها السنون ، والقدر يتصرف بضحيته كما يشاء يوجهها كما يحلو له مسجلا خطواتها المتعثرة فى أوحال التعاسة فى سجله الأزلى الخالد .

وفى نهاية العام الماضى انتهت آخر صحيفة من صحائف السجل الخاص بقصتنا هذه بعد أن ظلت خمس سنوات تتوق الى تعرف نهايتها .

وكان ذلك فى إحدى بلدان الوجه البحرى بضيعة وجيه من كبار الوجهاء كان قد أقام الزينات والأعلام فى طول البلدة وعرضها احتفالا بعودة ابنه الوحيد من أوربا بعد انتهاء مدة التعليم ، فكان السائرى نساء الضيعة ورجالها قد قاموا على بكرة أبيهم كل مسرع إلى قضاء بعض الأعمال الخاصة بالاحتفال وكأن هذا اليوم هو يوم الجميع فساهم كل منهم فيه بنصيب وافر ، وليس فيهم من لم يظهر البشر والابتهاج على وجهه الفطرى البرئ فى غدواته وروحاته وكأنهم جميعا قلب واحد لإنسان واحد .

كان هذا الاستعداد يجرى على قدم وساق من ثلاثة أيام مضت إلى أن أشرقت شمس اليوم الرابع على البلدة وهى تبدو كالعروس فى ليلة الزفاف ، ومع ذلك فقد مر هذا اليوم أيضا فى حركة دائبة ونشاط متوثب ، وزينت المحطة بأجمل الزينات ، ولبست حلة زاهية من مختلف الورود والرياحين والثريات الملونة الجميلة .

وما أن أوشكت الساعة على الرابعة حتى كان القوم جميعا وقوفا فى فناء المحطة منتظرين قدوم القطار بشوق ولهفة ؛ إذ أن فى إحدى درجاته فتاهم المحبوب مع والده العظيم وخلص أصدقائه الذين ذهبوا معه لانتظار وصول الباخرة والعودة بالبك الصغير إلى أرض آبائه وأجداده .

ومرت الدقائق فى بطء كعادتها فى أوقات الانتظار إلى أن هل أخيرا القطار من البعد يتبختر مزهوا بمن يحمل ويسير فى خطوات متكبرة رزينة ... وقلوب القوم تخفق مع خطواته وتتزايد دقاتها فرحا وشوقا .

وبدوا وهم يتدافعون بالمناكب لكى يكون لكل منهم شرف رؤية القادم أولا ، بينما ارتفعت الزغاريد من كل جانب واختلطت بنغمات الموسيقى التى كانت تصدح بأجمل ألحانها .

وأخيرا وقف القطار وبدا وجه القادم مطلا من إحدى نوافذ عربة البولمان يحيط به رهط من أصدقائه ومعارفه ، وقد ظهرت على وجهه بسمة تعبر عن أسمى المعانى وأرق

الأحاسيس ، وأحاط القوم بالقطار مسرعين وما أن غادره عصام إلى فناء المحطة حتى انهالت عليه التهانى والورود وحتى كان محمولا على قلوب خافقة بالحب والسعادة ، الى أن خرج أو قل خرجوا به من الباب الكبير والازدحام الشديد يكاد يزهق أنفاسه ، وهناك كانت جملة سيارات تقف فى الانتظار تتقدمها سيارة زوجة الوجيه ووصيفتها ... وأسرع عصام الى هذه السيارة فى لهفة وحنين كى يرتمى بين أحضان أمه التى كادت تموت من فرط السعادة ... وتصاخ الجميع بينما سرع من قدموا معه الى بقية السيارات التى نهبت الأرض بهم إلى السراى العظيمة بين هتاف القوم وصياحهم ... وسمح الجميع للوجيه الكبير أن يصاحب ابنه فى سيارة أمه كى يتم هناء قلبه بسعادة اللقاء . .

والتفت عصام الى فتاة جميلة حيية تحمل باقة جميلة من الزهور قبعت فى ركن السيارة بجانب والدته التى كادت تخفيها من فرط سمنتها ، وقال : آه لم لم تقدمينى الى الآنسة ياوالدتى.

— إنها ... إنها ... صديقتى الصغيرة يا عزيزى .

ولكز الأب ابنه بقدمه وهمس فى أذنه : إنها وصيفة أمك ياعصام وسأخبرك بشأنها فى المنزل.

بهت الشاب لما كان يبدو على وجه الشابة من نبل يبعدها عن طائفة الخدم ... لأن الوصيفة فى نظره لم تكن إلا خادمة نظيفة ... وهذه الفتاة ... أجل هذه الفتاة ... ياإلهى إنه قد رآها من قبل ... ويشعر أنه يعرفها ... أجل إنه يعرفها مافى ذلك من شك ... ولا بد له من أن يتذكر أين رآها ... وسبح مع أفكاره فى عالم الماضى فكاد ينسى من حوله ... ولم يستفق إلا على كلمات والده : ها قد وصلنا يا بنى الحبيب إلى بيتك القديم .

ونسى الشاب ما كان يفكر فيه بعض الوقت وطغت عليه سعادة الحنين بالعودة الى الوطن عندما شاهدت عيناه المنزل الكبير الذى تربى فيه صغيرا وفارقه يافعا ثم عاد اليه شابا كاملا... ودخل يحف به رهط من الأصدقاء وهو ينظر الى كل جهة من جهات المنزل بحب وشغف ويكاد يلمس كل شىء تقع عليه عيناه اللتان امتلأتا بدموع الفرح إلى أن وصل الى حجرته فى الطابق الثانى نفس الحجرة التى فارقها قبل السفر ... فاستأذن من الجميع وارتمى على فراشه الناعم فى استسلام خبيب وراحة قدسية لا يمكن أن تعبر عنها الكلمات .

وطالعه فى غفوته القصيرة وجه الفتاة وصيفة أمه ودهش كيف لم يسأل عن اسمها ... إنها كانت تحمل طاقة الزهر له من غير شك ، ومع ذلك لم تجرؤ على تقديمها له لأنه شغل بمعانقة أمه عن النظر إليها . ليته يعرف اسمها كى يتذكر أين رآها ... لأنه لم يشك لحظة فى أن هذا

الوجه أليف لديه ... ان أمه هى التى يمكنها أن تعينه على الذكرى ، فليذهب إليها ويسألها عن ذلك .

وغادر فراشه وكان لم يزل بملابس السفر وذهب إلى أمه فى حجرتها التى لم يكد يدخلها حتى غادرتها الفتاة الجميلة مسرعة فى أدب وأغلقت الباب وراءها . وأسرع إلى أمه يسألها : لم لم تخبرينى يا أماه بشئ كثير عن هذه الفتاة ؟ فارتبكت الأم وأجابت : إنه لم يمض على قدومك ساعات يابنى المحبوب ، فلم أجد وقتا بعد للكلام معك فى هذا الشأن ، وأنت ترى أنك مازلت بملابس السفر ...

فنظر إلى ملابسه فى خجل وقبل جبينها وأجاب : آه — آسف ياوالدتى — لقد أنستنى فرحة العودة إلى الوطن أن أخلع ملابسى — ومع ذلك فقد رأيت أن آتى إليك لقضاء بعض الوقت قبل بدء الحفلة .

— انى جد سعيدة يا ولدى العزيز .

و بعد حوار قصير عاد إلى القول — لا أنكرك ياوالدتى بأن وجه فتاتك مألوف لدى . وانى لواثق من أنى رأيته من قبل .

— ان هذه هى أقوال أبيك أيضا ياعزيزى ، ومع ذلك فاننا لانعرف الكثير عنها ، فهى رغم أدبها الجم وأخلاقها العظيمة فتاة غامضة لا تكاد تفوه بكلمة واحدة عن ماضيها .

— ماضيها — إذن أنتم لا تعرفون من أين هى .

— ان والدك قد أحضرها إلىّ من خمس سنوات عند ما كان حاضرا من دورة البرلمان ولها قصة صغيرة محزنة ، ولولا لطف الله ورحمة والدك لما كان لها الآن أثر فى الحياة .

— وكيف ؟ ... خبرينى بالله عليك بكل قصتها .

— أخبرنى والدك أنه بينما كان ذاهبا إلى القاهرة فى صباح يوم ذهابه إلى البرلمان إذ اقتربت سيارته من ازدحام كبير بالقرب من النيل فخشى أن يكون فى الأمر حادثة وفعلا أمر السائق بالوقوف ونزل ليستفسر بنفسه عما حدث . فوجد القوم يحيطون بجسد فتاة ناحلة فى ثوب مهلهل مبال بالماء وهم وقوف وكأن على رءوسهم الطير بعد أن أنقذها بعضهم من الغرق فأسرع والدك أبقاه الله إلى الفتاة ، ولما تأكد من دقات قلبها البطيئة كأنها على قيد الحياة حملها مع القوم إلى سيارته وذهب بها إلى أقرب مستشفى حيث تركها وترك اسمه وعنوانه هناك بعد

أن أوصى بمعالجتها على نفقته، وعاد إليها بعد أسبوع فوجد أن حالتها تمكنها من مغادرة المستشفى برغم ضعفها الشديد وأراد أن يستعلم من الطبيب عن أقوال الفتاة فعلم منه بأنها باتت طول ليلتها الأولى تهذى بكلمات غير مفهومة ومع ذلك فقد أصرت على عدم الحديث عندما استفاقت، ويخيل إلى أنها تنوى أن تكتم أمرها عن الجميع حتى إن رجال التحقيق قد حاروا فى سؤالها أياما، وليس لديها من أقوال غير أنها وحيدة ولا أهل لها وقد زهدت الحياة فحاولت التخلص منها .

وصحبها والدك إلى هنا بعد إلحاح، وبعد أن عرفها بأنها ستكون فى منزله كابنة له، ورفضت الفتاة أن تعيش عالة بغير عمل فسمحت لها بأن تكتب لى بعض خطاباتى وأن تساعدنى فى بعض أعمالى رغم كثرة الخدم كما تعلم، ويعلم الله أننى أعاملها كما لو كانت ابنة لى . فلا ألبسها إلا أغلى الثياب ولا أطعمها إلا أشهى الطعام .

ورغم هذه السنوات الخمس فالفتاة لم تظهر استعدادا للكلام عن ماضيها مطلقا . وكل مافهمته منها أنها فقدت أبويها وليس لها أقارب على وجه الحياة، وشعرت بأنها فتاة تعسة فلم أتكلم معها فى هذه النقطة بعد ذلك .

— وما اسمها ياأماه ؟

— فردوس ياعزيزى ويخيل إلى أنه الشىء الوحيد الذى صارحتنى به دون أن أسألها عنه . وأظنها ذكرته دون تفكير بحسب العادة .

— فردوس ؟ ! لقد تذكرتها الآن تماما ياأماه . وإذا لم تخطىء عيناى فانى رأيت هذه الفتاة بذاتها فى القاهرة عندما كنت أقيم مع خالى أثناء دراستى الثانوية، فقد كانت تقيم فى منزل كبير يواجه منزلنا، وكنت أراها من حجرتى أثناء مذاكراتى وهى جالسة بجانب نافذة صغيرة بغرفة منعزلة فى سطح ذلك المنزل الذى كان منزل والدها، وكان الجميع يشيعون الكثير عن قسوة هذا الوالد وظلم زوجته للفتاة المسكينة التى كانو يسمونها حينئذ الفتاة السجينة .

وصمت قليلا ثم قال : أجل إنها هى ياأماه لاريب فى ذلك وإنى لدهش كيف ألقت بها المقادير فى منزلنا وأسائل النفس عما فعل والدها العاتى بعد فرارها .

فاجابت الوالدة — إنك تدهشنى ياعصام بأقوالك هذه ؛ وعلى كل حال دع هذه المسألة لى فانى سأتأكد منها حتما غدا أو بعد غد إن شاء الله بعد انتهاء حفلة الليلة .

— على أن تعدينى بعدم مفاتحتها فى هذا الأمر الليلة يا أمى العزيزة فانى أوثر أن تكون تلك البائسة مبتهجة بالحفلة مثلنا .

— أعدك بذلك يا بنى .

— شكرا يا أماه ، والآن أتركك قليلا لإبدال ملابسى .

— اذهب مصحوبا بسلامة الله يا عزيزى .

ومضى الوقت سريعا واستعد الجميع لاستقبال الضيوف الذين قد أتوا من مختلف البقاع لمجاملة الباشا بعودة نجله الوحيد ، وظل الخدم فى غدو ورواح والوفود تترى على المنزل من آن لآخر ، بينما امتلأت حديقة المنزل المترامية الأطراف بمئات السيارات التى كانت تبرق بألوانها الزاهية تحت قوة الأنوار المتلألئة بالحديقة وفوق الأشجار ، إلى أن التأم أخيرا عقد المدعوين ، فامتلأ بهم المنزل حياة ونشاطا ، ومضى بعض الوقت فى رقص وغناء ، وأخيرا أطلقت الحرية للمدعوين يتنقلون فى أرجاء المنزل كما شاءوا ، فهرع الشباب منهم ، هذا إلى الحديقة وذاك إلى الشرافة كل كما شاء وما يشاء .

أما فى الصالون فقد اجتمع الشيوخ فى وقارهم المعهود يتنادرون بأقاصيص صباهم وأيام فتوتهم ، بينما جلس كبار السيدات ينصتن لأحاديثهم متحسرات على ربيع العمر الذى ولى .

وعندئذ فقط حدثت نهاية قصتنا هذه ، وذلك عند ما دخل عصام أخيرا إلى هذا الجمع الملتئم بصحبة والدته ووصيفتها التى كانت ترفل فى أغلى الثياب وأجملها ، ووجهها يتلألأ بشرا وعيناها تشعان فرحا واطمئنانا .

وتأخر عصام قليلا لتتقدم والدته ، وما أن تبعها إلى الأمام خطوة حتى وقف ينظر إلى أحد الأشخاص مجملقا ، ثم التفت محركة لاشعورية إلى الفتاة التى كان يحجبها بجسده فكانت هذه اللفتة كافية للفتاة لأن تنظر إلى الأمام وترى ما رآه .

ولم يلبث الجميع أن فوجئوا بصرختين حادتين إحداهما من أحد كبار المدعوين والأخرى من فردوس الفتاة البائسة .

ولم تزد هاتان الصرختان عن أبى ... ابنتى ...

ودهش الجميع بهذا إلا عصام ووالدته وظلوا برهة ساهمين وكأن على رءوسهم الطير ... وما لبثوا أن استيقظوا على صوت عصام وهو يصيح :

— فردوس ، فردوس ، لقد اختفت يا أماه .

وهرع كالمجنون يتبع الفتاة المنكودة التى أسرعت إلى النهر الصغير وقبل أن يبلغه كانت قد ألقت بنفسها بين أمواجه الصاخبة مرة أخرى .

وقذف بنفسه يتبعها ، وعاد بها إلى الشاطىء وهو يبكى كطفل فقد أمه منه ، وركع على الرمال الباردة ممددا جسد الفتاة أمامه فى خوف ولوعة ، وظل بعض الوقت يحاول بالتنفس الصناعى أن يعيد إليها الحياة ولكن ما هذا الذى يسمع ؟

كانت تملأ أذنيه أصوات بعيدة كأنها تأتى من السماء تشبه أصوات جمع من الأطفال ينشدون ويحتفلون بزفاف عروس ، وكانت ضجة يرتفع من بينها فى كل مقطع صوت ضعيف هادىء تصحبه قيثارة حزينة النغم منسجمة اللحن ، وما لبث النغم أن توقف قليلا عند ما فتحت الفتاة شفتيها قائلة فى خفوت :

— أماه ، أحقا ستأخذينى إليك ؟ . أجل خذينى ، وضمينى إليك بقوة ثم ضعى ذراعيك حولى ، ورأسى على صدرك ، كم أنت رحيمة يا أماه .

* * *

وتوقف الهمس ثانيا ليعود نشيد الأطفال فى السماء ، وقد انضم إليه صوت جديد مرحبا بقادم جديد .

سمير

تم طبع هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ٢٣ من ذى الحجة سنة ١٣٦٢
(٢١ ديسمبر سنة ١٩٤٣) .

مدير المطبعة الأميرية

محمد بكرى

المطبعة الأميرية ٩٠٦٠-١٩٤٣-٣٥٠٠